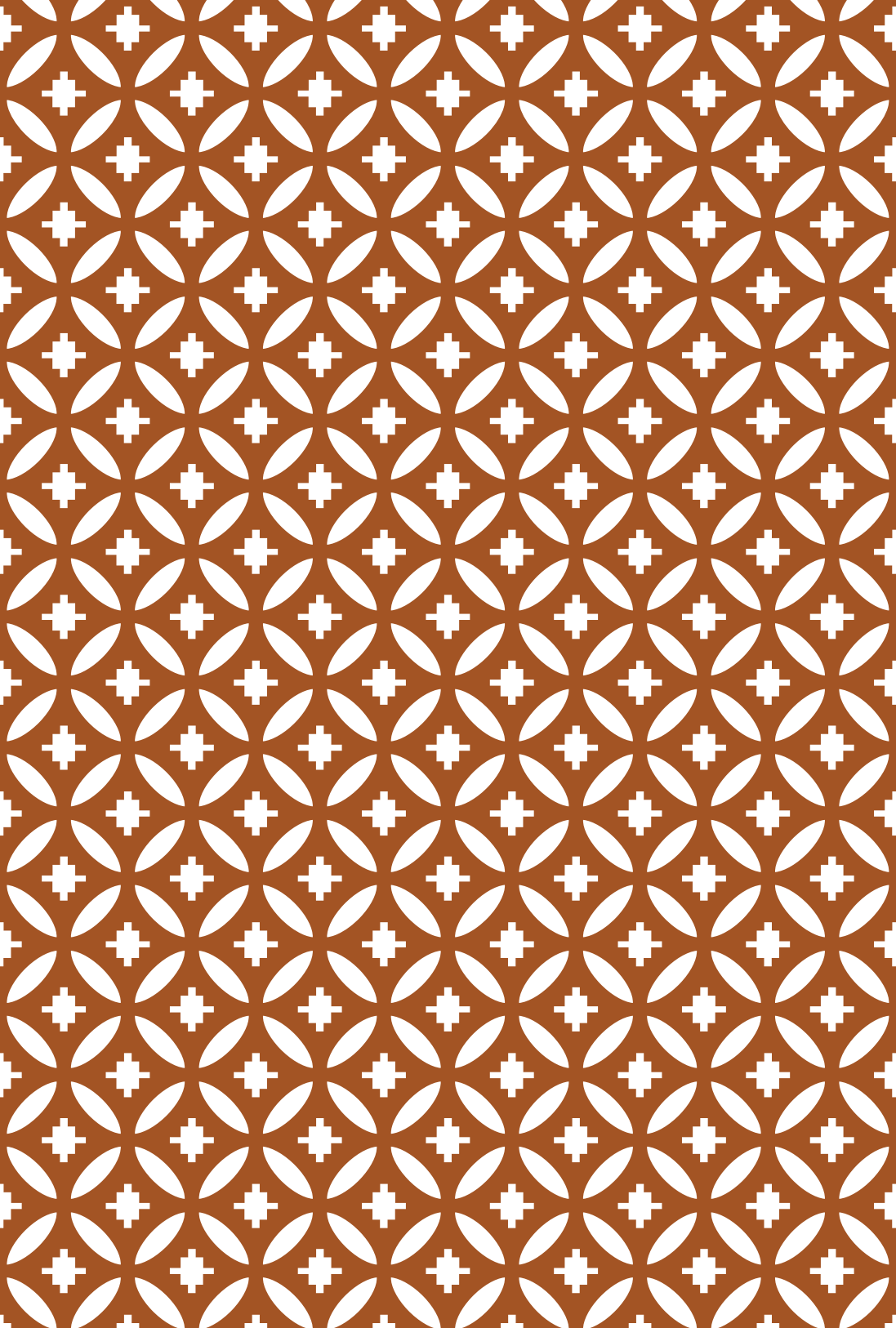

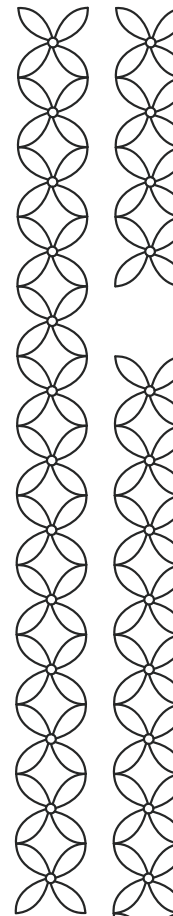

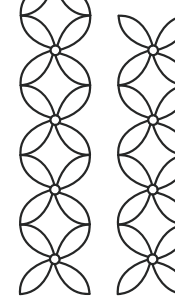

إرث ربي

Ghaf
Publishing
منشورات غاف

أهل دبي

عبدالرّحيم محمّد بالغزوز الزرعوني

أهل دبي: عبدالرحيم محمد بالغزوز الزرعوني

الطبعة الأولى - 2026

ISBN 978-1-9613235-86-8

جميع الحقوق محفوظة

Ghaf
Publishing
منشورات غاف

info@ghafpublishing.com
www.ghafpublishing.com

Copyrights © ghafpublishing 2026

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيّ جزء منه أو تخزينه، في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّيٍّ مسبق من الناشر.

التصميم والإخراج الفني: ستوديو أرابيسك
www.arabesquestudio.ae
hello@arabesquestudio.ae

أهل دبي

عبدالرّحيم محمّد بالغزوز الزرعوني

إرث ربي

Ghaf Publishing
منشورات غاف

2026

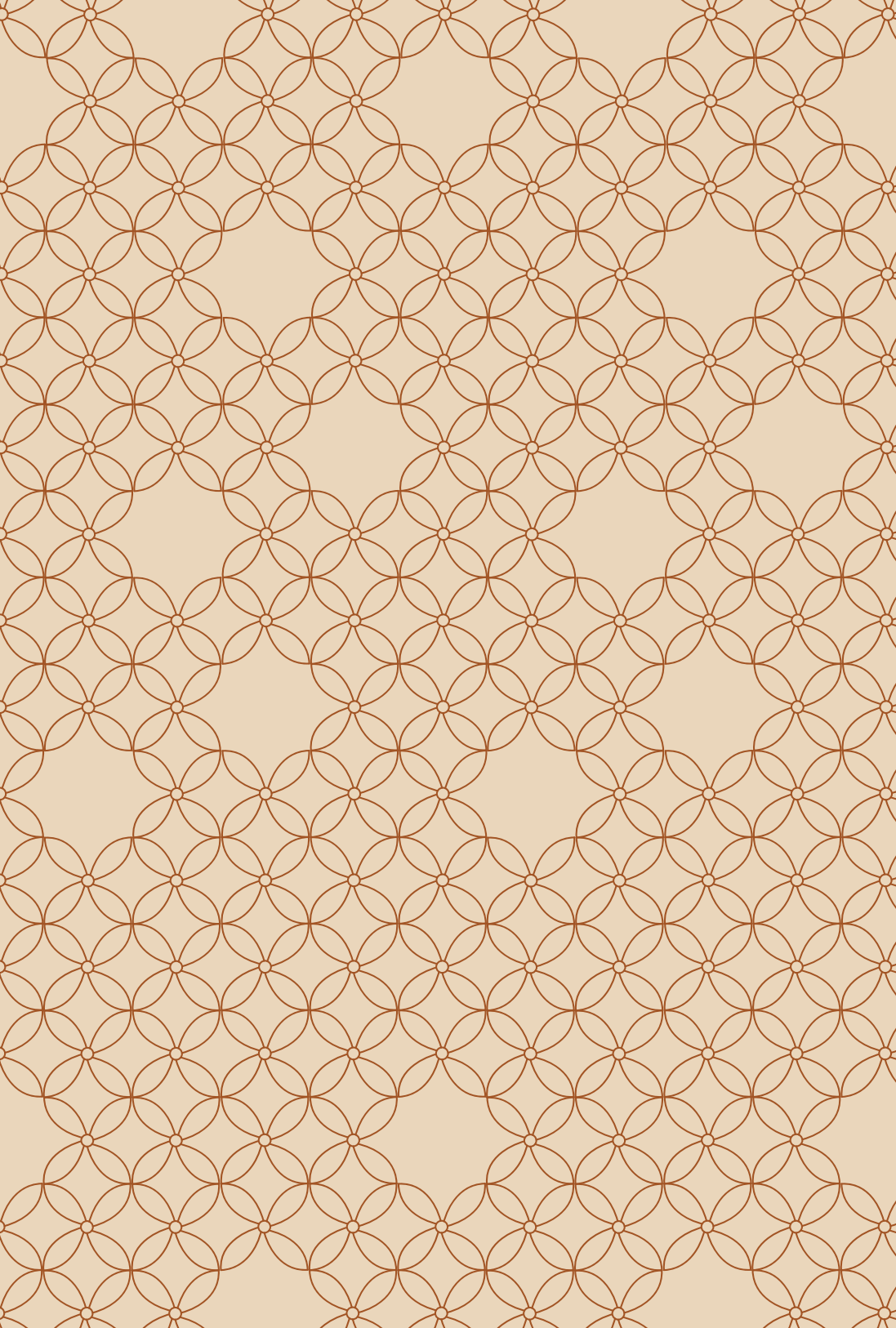

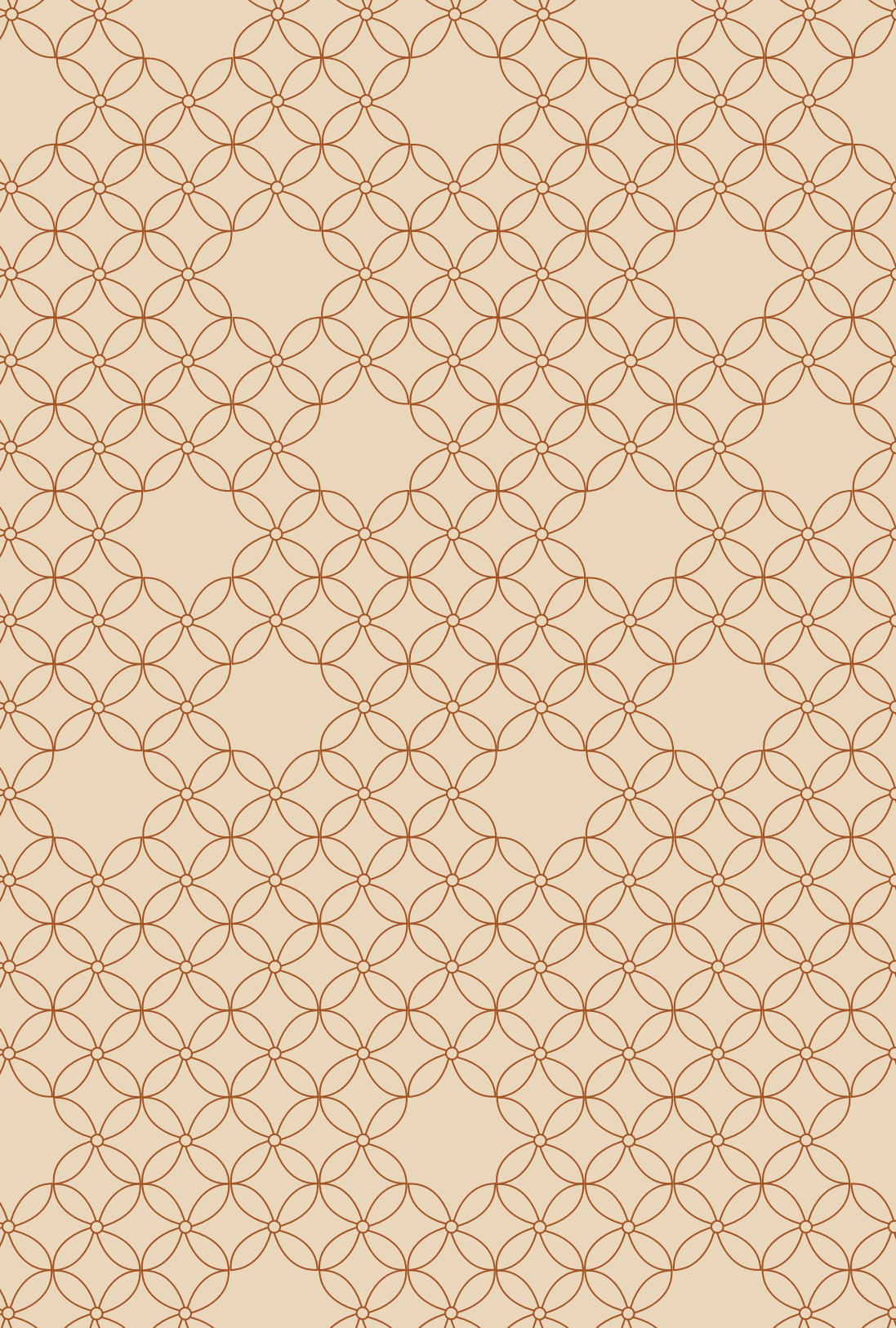

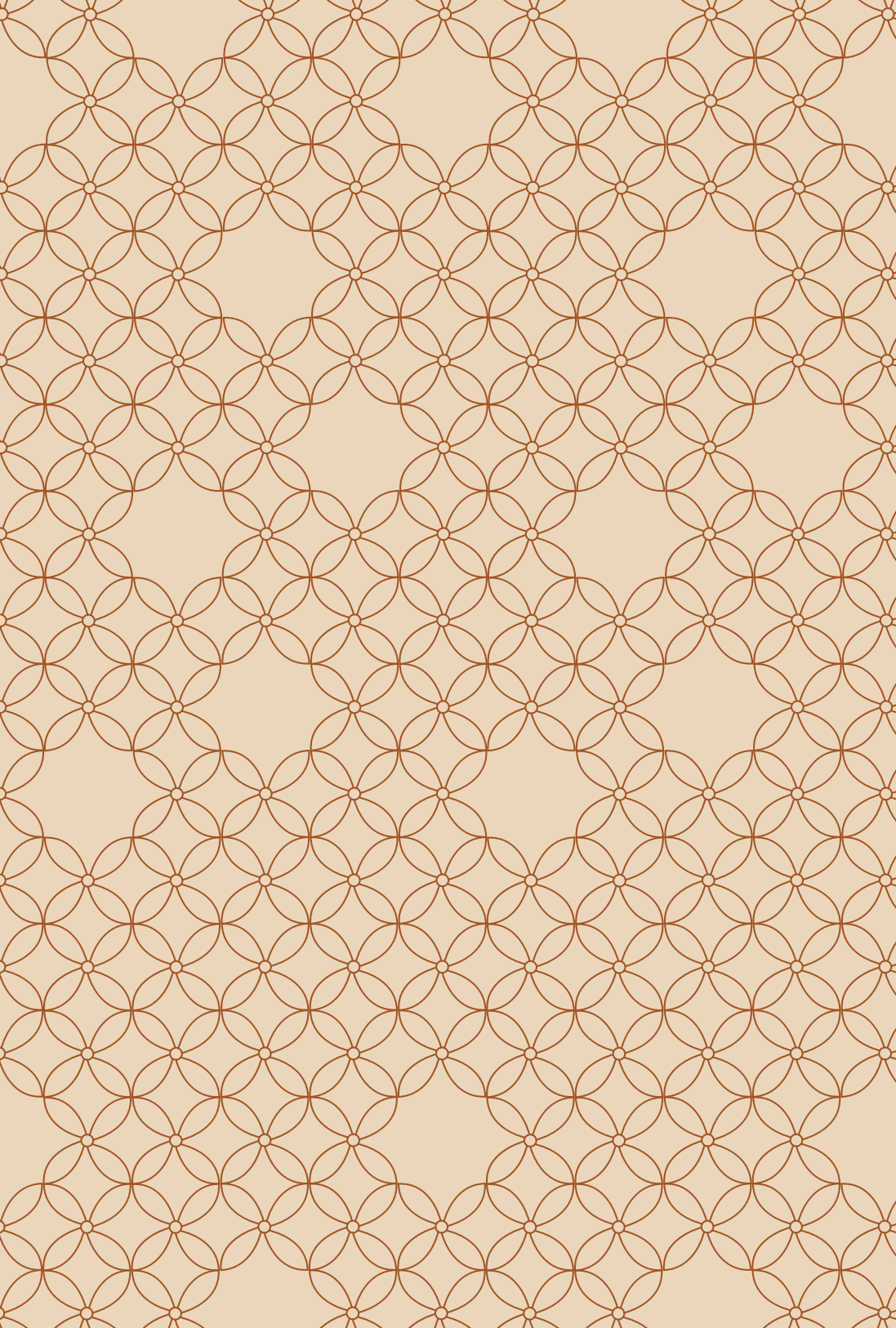

الفصل الأول

البدايات...

عبدالرّحيم محمّد بالغزوز الزرعوني

٨٦ عامًا

أحمـل اسـم جـدي لأبـي. سـماني والـدي عبـد الرحيـم؛ تيمنًـا باسـم أبيـه -رحمـة الله عليهمـا-، وبالطبـع فقـد كان هـذا هـو العـرف السـائد في مجتمـع دبـي والإمـارات بوجـهٍ عـام منـذ القـدم؛ إذ إن الآبـاء كانـوا يسـمّون أبناءهـم بأسـماء آبائهـم وأجدادهـم أيضًـا.

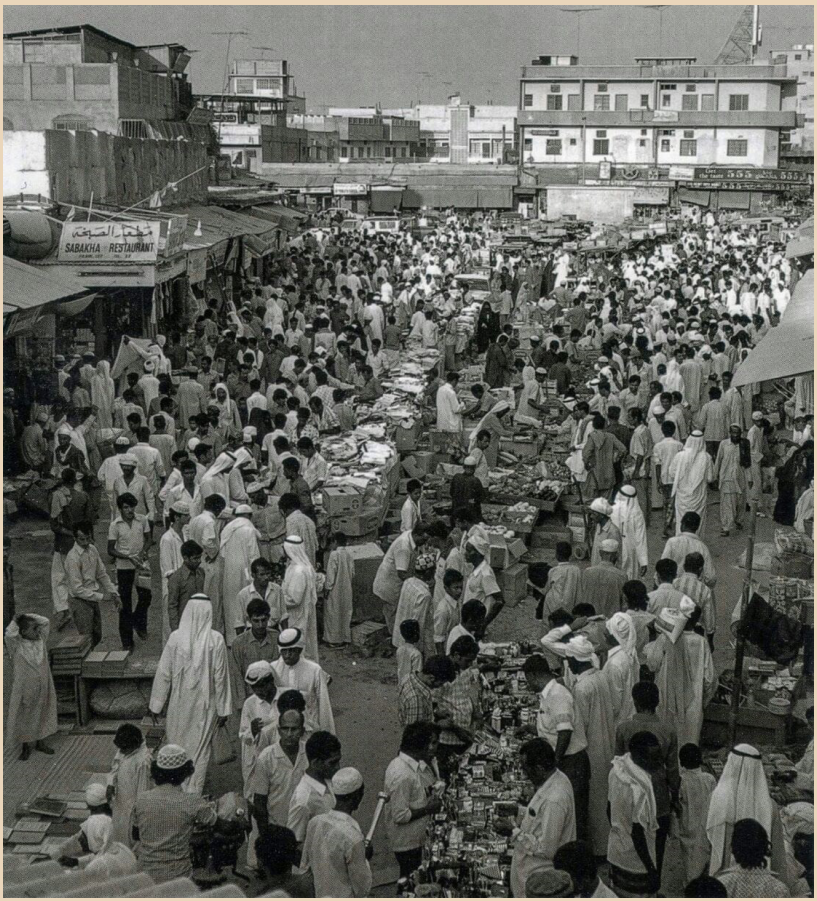

ولـدت في دبـي، في عـام الوهيلـة (1939م). إذ رأت عينـاي النـور في بيـت أسرتي الكائـن حينـذاك في فريـج سـكة الخيل في منطقـة ديـرة، والـذي كانـت تعيـش فيـه مجموعـة مـن الأسر الإماراتيـة المنتميـة لعـائلات معروفـة.

رسخت دبي مكانتها، منذ قرون عديدة، مركزًا تجاريًّا وحضاريًّا عالميًّا. ولطالما تميزت بعمق علاقة الحاكم مع أبناء شعبه. وكانت تحتضن، كما الآن، أبناء الجنسيات المتنوعة. أما البيوت فجزء كبير منها كان مبنيًّا من الجص والحصا، والآخر بُني من السعف. ولم تكن هناك كهرباء، وكانت مياه الشرب تُجلب على ظهور الحمير من البراحة، واقتصر طعام الناس على الأرز والسمك والتمر. وقد تزامن عام ولادتي وفترة نشأتي مع تولي المغفور له الشيخ راشد بن سعيد ولاية العهد في دبي.

مركز الوثائق التاريخية : رمز الوثيقة : د.أ.ع/م.د.و/ب/03/1

لـدي شـقيق واحـد يدعـى إبراهيـم -رحمة الله عليـه- وكان يـكبرني بخمسـة أعـوام، توفـاه الله قبـل أكثر مـن عقديـن، وتحديـدًا في سـنة (1993م).

لا أعلم سوى اسم جدي لأبي عبد الرحيم الزرعوني، ولم يكن أحد من أجدادي على قيد الحياة حين وعيت على الدنيا؛ لا بل حين ولدت أيضًا، وذلك سواء من جهة أبي أو أمي -رحمة الله عليهما-.

أقمت في فريج سكة الخيل مع أبي وأمي وأخي وبقيت فيه حتى العام (1957م)، وقد كان يضم مَعلمًا بارزًا؛ وهو برج بري: (قلعة) مريم بنت حشر. وأما ساكنو الحي فكانوا بمثابة عائلة واحدة، ويتميزون بتوادّهم وألفتهم وتعاضدهم في السّرّاء والضّرّاء.

كان الجيران يتبادلون أطباقًا من الوجبات اليومية التي يطهونها على الدوام، وبين الأسر التي كانت تقطن في ذلك الفريج: أسرة بن دسمال، أسرة سالم بخيت الفلاسي، أسرة ذياب بن هلال، أسرة بن كتفور، أسرة بن حارب، أسرة الشاعر، أسرة ضاحي بن سعيد. وكنا جميعًا، كبارًا وصغارًا، نواظب على صلاة الفجر في مسجد الحيّ، كما كانت ضحكات الأطفال وجولات مرحهم وأصواتهم تملأ المكان طوال اليوم، وكان المشي على القدمين وسيلة تنقّلنا الأبرز ضمن الفريج وإلى أي مكان في دبي.

كانت بيوتًا مسكونة بالمحبة والخير والبساطة والجمال والتآزر، بالرغم من تواضعها، وقد اعتاد الناس بناء منازلهم من المواد المتنوعة المتوافرة في البيئة المحلية.

وفي العموم، انقسمت البيوت في تلك الفترة الزمنية إلى نوعين من حيث طبيعة بنائها وتكوينها، فهناك نسبة كبيرة منها كانت مبنية من الجص والحصا، بينما بنيت البيوت الأخرى من السعف. وبالنسبة للأولى فكانت تتألّف من حُجَرٍ هي أكثر عددًا من حُجَر بيوت السعف التي كان واحدها يتكون في الغالب من غرفة/حُجرة واحدة نسميها «الخيمة» وهي شتوية الطابع، إضافة إلى عريش مفتوح يبدو مثل المجلس المصغر، وهو يصنف كونه للمقيظ؛ حيث كان الناس يستخدمونه للسكن والعيش خلال الحر الشديد، إذ يجهزونه ويصممونه وفق نمطٍ معين يكفل قدرتهم على التعايش مع تلك الظروف المناخية الصعبة.

لقد كانت البيوت للجميع، ولم تكن أية حواجز بينها، كما أنها كانت في غالبيتها محاذية بعضها بعضًا، وكان أي طفل في الحي لا يتردد بدخول بيت الجيران والجلوس مباشرة إلى سفرتهم ومشاركتهم طعامهم وشرابهم، وأيضًا جلستهم العائلية. ولطالما مثّل مسجد الفريج -إضافة إلى كونه بيت أداء الصلوات وطاعة الله عز وجل- البيت الجامع الذي يلتئم عنده وقربه شمل رجال الحي بعد أدائهم الصلوات؛ حيث يجتمعون ويجلسون ويتبادلون الأحاديث.

إن المحبة والتناغم والتواصل والصدق والتكاتف سمات مثّلت آنذاك دعائم حياة الناس في بيوتهم، وضمن المجتمع عامة.

لا علم أو معلومات لديَّ في الحقيقة حول أية منطقة أخرى سكنها أبي أو أهله، سوى سكة الخيل في ديرة بدبي، حيث ولدت أنا ونشأت. وبالطبع كنت أعرف جيراننا وما زلت أتذكرهم جيدًا، كبارًا أو صغارًا؛ فقد عشنا معًا وتقاسمنا حلو الحياة ومرّها، وكنا نحيا بألفة وتراحم ومحبة، ولم يكن الجار ليتأخر عن مساعدة جاره إذا احتاج أي شيء.

أول جار عن اليمين	السيد هاشم الهاشمي وأسرته.
ثاني جار عن اليمين	السيد عبد الله الهاشمي وأسرته.
ثالث جار عن اليمين	السيد أحمد الهاشمي وأسرته.
أول جار عن اليسار	السيدة هداية بن ساتشوب (ساكوب).
ثاني جار عن اليسار	مريم بنت حشر.
ثالث جار عن اليسار	ذياب بن هلال وأسرته.
أول جار من الأمام	سالم بن بخيت الفلاسي وأسرته.
ثاني جار من الأمام	محمد بو ملحة وأسرته.
ثالث جار من الأمام	أسرة تنتمي إلى عائلة بن بدر ولاحقًا اشترى المنزل وسكنه خليفة بن سلطان وأسرته.
أول جار من الخلف	السيدة شريفة الهاشمي
ثاني جار من الخلف	شيخة الشاعر، وكانت امرأة أرملة، وهي بمثابة والدتي؛ حيث أنها أرضعتني.
ثالث جار من الخلف	ضاحي بن سعيد المهيري وأسرته.

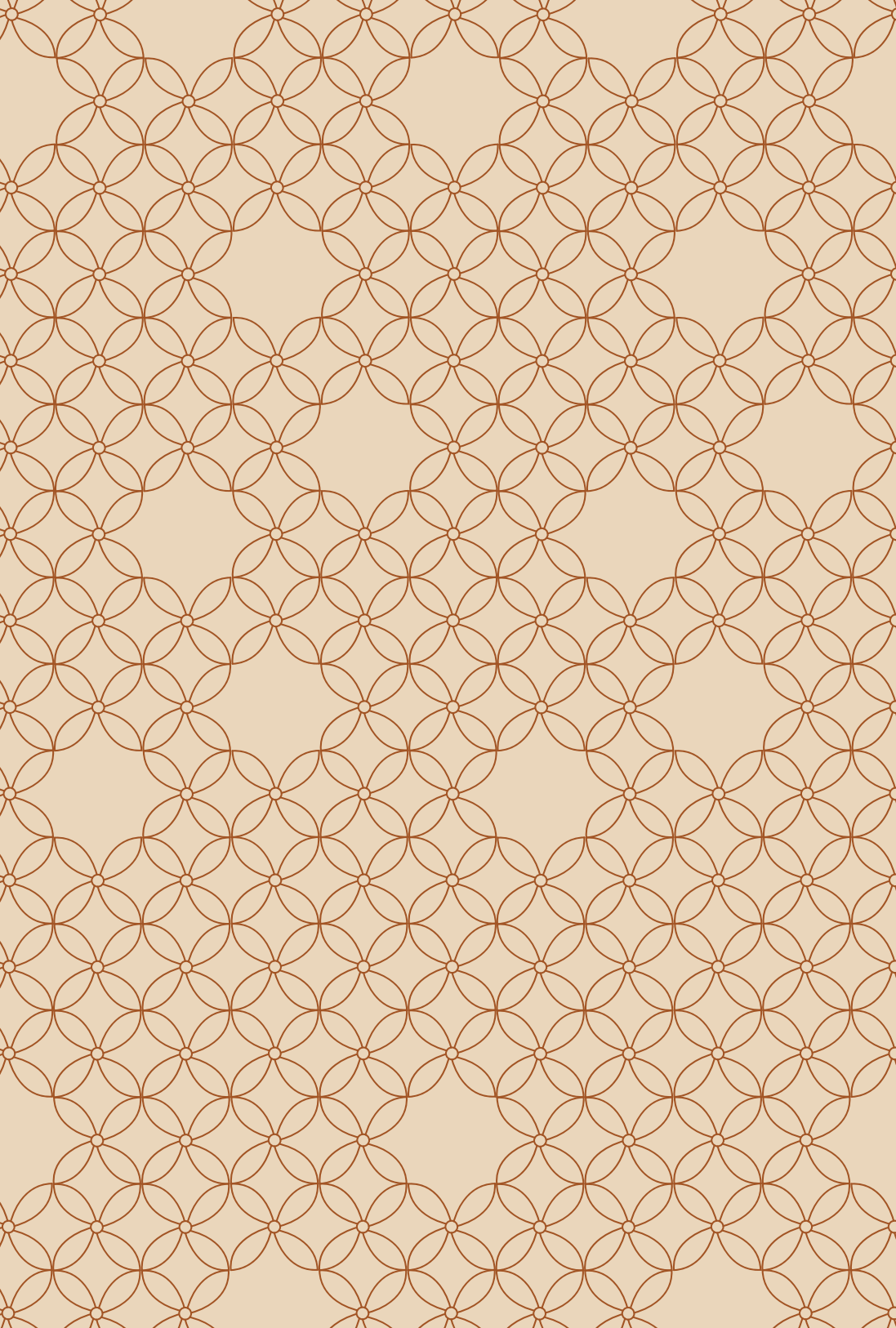

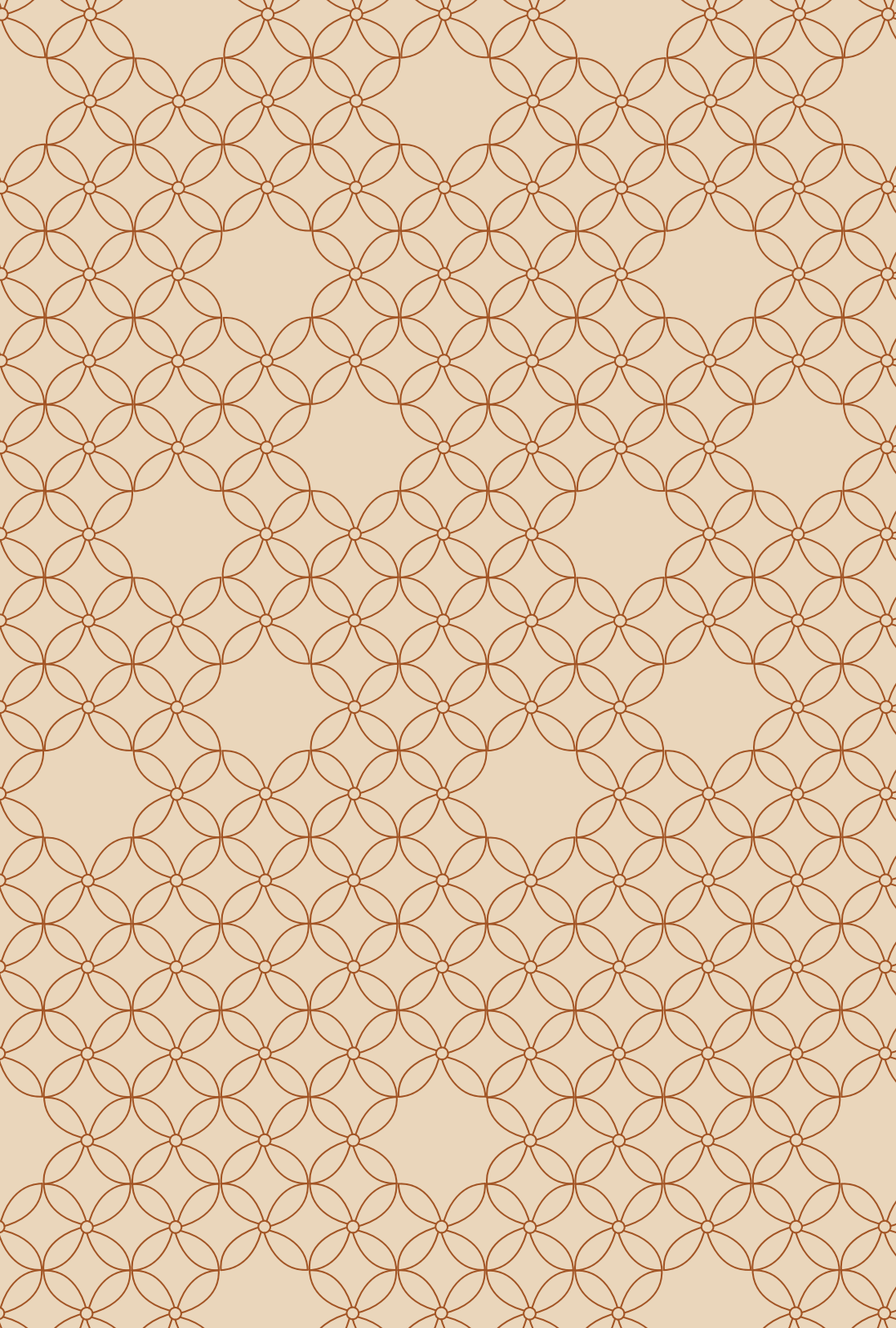

الفصل الثاني

الطفولة... حيث تصنع الذكريات

كنت شقيًّا ونشيطًا وذكيًّا، وأحب التعلّم وأكتسب المهارات بسرعة، وفي أولى سنوات الطفولة وعندما كان والدي حيًّا، عشت ببحبوحة وعزّ؛ حيث كان يوفر لنا جميع ما نحتاجه. وامتلكت الكثير من صفات البدو؛ بحكم عيشي معهم واختلاطي بهم في أثناء ذهابي برفقة الوالدة للبريمي (مسقط رأسها) على ظهور الجمال كي نمضي المقيظ هناك بين أهلها، وكنا نستضيفهم في بيتنا بسكة الخيل شتاءً بينما يَقدمون لبيع منتجاتهم بدبي. فكانت والدتي تصحو باكرًا لتجهز لهم الفطور، وعلى الغداء والعشاء تحضّر لهم أفضل الأطباق. وبالمرحلة اللاحقة من حياتي أصبحت يتيمًا؛ إذ رحل أبي وعمري سبع سنوات؛ ولكن -وكما أقول دومًا- رباني بعدها الله سبحانه وتعالى. حينذاك تحملتُ المسؤولية وباشرت العمل بدكان قماش لأحد أقارب أبي، لأساعد أمي بتأمين مصاريفنا، وعشت بهذه الفترة أيامًا مغمسة بالقهر والمعاناة. ولا أنسى حالتي بأحد الأعياد وأنا جالس على الرمل محزونًا دامعًا؛ إذ لم أعيّد وأفرح بالمناسبة؛ لأن رب العمل لم يشترِ لي كندورة العيد.

بـدءًا مـن العـام (1956م) راح جميـع أصدقـائي، ومعهـم الأشـخاص الذيـن أعرفهـم وأتعامـل معهـم في السـوق بشـكلٍ يومـي، ينـادونني: «بـو نظـارة»؛ إذ إنني أجريـتُ في هـذه السـنة عمليـة جراحيـة لإحـدى عـينيّ، وبـتُّ أرتـدي النظـارة الطبيـة طبقًـا لتعليمـات الطبيـب الـذي عالـجني.

لقـد ولـدتُ ونشـأت وترعرعـت في فريـج سـكة الخيـل الكائـن بمنطقـة ديـرة في دبـي، حيـث قضيـت مـن الطفولـة الجميلـة وبدايـة أعـوام الشـباب في مطارحـه وسـاحاته وبين بيوتـه، وفي دروبـه، ولا تـزال تفاصيـل كـثيرة مـن ملامـح الحيـاة التي عشـناها في هـذا الحـي تسـكن ذاكـرتي وتتعشـق دواخلي وأحاسـيسي.

عشـنا في بيـت مـبنيٍّ مـن السـعف، كان بسـيطًا؛ ولكنـه عامـر بالمحبـة والتقـوى والبركـة والتماسـك الأسري، وتألّـف بيتنـا مـن خيمـة واحـدة (حجـرة مبنيـة مـن السـعف)، كنـا ننـام فيها نحـن الأطفال على الأرض وتحتنـا فُـرش رقيقـة، بينمـا ينـام والدانا قريبًـا منـا على السريـر، كمـا ضـمَّ إضافـة إلى ذلـك عريشًـا مفتوحًـا مبنيًّـا مـن السـعف أيضًـا، وكان يسـتخدم أكثر في أوقـات الصيـف، إذ يعـد خاصًّـا بالمقيـظ. كانـت العقـارب والزواحـف تشـاركنا سـكنى البيـت، فتلدغنـا وتؤذينـا في أحيـان كـثيرة، ولـم تكـن هنـاك كهربـاء أو أيـة معـدات حديثـة في المنـزل، وأمـا الميـاه الصالحـة للـشرب فكنـا نشـتريها مـن السـقّائين، ولطـالما وجدنـا فيهـا الديـدان والحشرات، حالنـا في هـذا حـال أهـل دبـي في تلـك الأيـام، وكنـا نتنـاول طعامنـا ونحـن جالسـون على الأرض؛ حيـث نلتـف جميعنـا حـول السرود (طبـق يوضـع عليـه الطعـام، مصنـوع مـن الخـوص).

توفي والدي -رحمة الله عليه- وأنا في السابعة من العمر، وقد كنا في الأسرة ننعم -وهو على قيد الحياة- بمستوًى معيشي متميز بفضل كدّه ودأبه وحرصه على توفير كل ما نحتاجه؛ لكني اضطررت بعد رحيله وأنا طفل للانخراط في العمل؛ كي أساعد أسرتي، ونستطيع تأمين مبالغ مصاريفنا واحتياجاتنا المعيشية، وهكذا لم يعد لديَّ وقت فراغ في أن ألهو وأمرح مع أقراني الأطفال؛ حيث شرعتُ في العمل ضمن دكان قماش في ديرة، إلّا أنني اعتدت قبل تلك المرحلة على ممارسة كافة أنواع الألعاب الشعبية، وعلى الركض والمرح والضحك والاختباء في أنحاء ودروب وجنات «سكة الخيل» بصحبة أطفال الحيّ، ولطالما أحببت الذهاب إلى البحر والسباحة في مياهه، سواء وحيدًا أو برفقة الأصدقاء، كما كنت أصطاد الأسماك باستخدام «مركوبي» الخاص: (مركب صغير جدًّا، مصنوع بشكل بدائي من ألواح التنك المستعلمة).

وعيـت على الدنيـا ولا جـدَّ أو جَـدّة لي، جميعهـم كانـوا قـد توفـوا؛ إلا أنني كنـت أعـتبر الكـثير مـن الشـباب وكبـار السن مـن أقـارب أبـي ومـن سـواهم في الحـي وفي السـوق ضمـن مجتمـع دبـي بمثابـة أجـداد لي، فأكـنُّ لهـم الاحترام وأنتصـح منهـم وأسـتمع جيـدًا إلى توجيهاتهـم والـدروس والـعبر التي كان بعضهـم يلقيهـا على مسـامعي، ولطـالما طـاب لي الجلـوس مـع الشـيّاب والاسـتزادة مـن خبراتهـم ومعارفهـم في الحيـاة في أثنـاء سردهـم لمواقـف وقصـص كـثيرة مـرت بهـم وعايشـوها، وكانـت علاقتي بهـؤلاء وبسـواهم مـن الأشـخاص -مـن الأعمـار والجنسـيات كافـة- متميـزة جـدًّا.

كانت السباحة في البحر، وتربية طيور النورس لغرض أن أخوض بها منافسات ونزالات «مصارعة النوارس» التي كنا ننظمها باستمرار؛ هما رياضتاي وهوايتاي المفضلتان لديَّ في مرحلة الطفولة والفتوة، وكنت أفوز في غالبية جولات منافسات «مصارعة النوارس»، فأكسب طيور نورس جديدة من خصومي، وبطبيعة الحال كان صيد الأسماك بالنسبة لي شغفًا وعادة وهواية، ولم أكن أنقطع عنه.

وهناك أيضًا مجموعة من الألعاب الجماعية المغايرة التي كنت أفضلها وأنا طفل فأشارك بها، مثل: «الترتور»، و«الزبوت»، إضافة إلى «لعبة حويم» والتي تمثل لعبة كرة القدم في أيامنا الحالية؛ إذ كنا نستخدم فيها قطعة دائرية مصنوعة من الطين نركلها بأقدامنا. وأما الهواية والهوى الذي لازمني منذ الطفولة، فهو تكوين الصداقات والتواصل مع الناس، وقد مثّلت جرأتي ومحبتي وصفاء نيتي مفاتيح جوهرية في قدرتي على بناء الصداقات والمعارف وكسب ثقة الجميع.

كثرٌ هـم رفـاق أيـام الطفولـة الجميلـة في حيـاتي، وكـم تـزورني وتـراود مخيـلتي ذكرياتنـا وجلسـاتنا وقصـص مرحنـا معًـا في حنايـا فريجنـا، ومـن أبـرز أسـماء أصدقـائي في تلـك المرحلـة العمريـة: محمـد الشـاعر، السـيد عبـد الله بـن السـيد يوسـف الهاشـمي، محمـد بـن سـالم بـن بخيـت الـفلاسي، بطـي بـن عبـد الله بـن جمعـان الـفلاسي (أصبـح صديقـي حين صرتُ أدرس في المدرسـة الأحمديـة)، عبـد الله (لا أذكـر كنيتـه، وكان يعيـش مـع أهلـه في حينـا).

وباسـتثناء محمـد بـن سـالم بـن بخيـت الـفلاسي -أطـال الله في عمـره- فـإن جميـع أصدقـاء الطفولـة هـؤلاء قـد توفاهـم الله، وأدعـو الرحمـن يكونـوا في جنـات الفـردوس.

لقد تربيت في أسرة هي جزء من مجتمع دبي المتّسم بالأصالة والخير والإيمان والتسامح، ولم يقصّر والداي في تربيتي تربية حسنة رسّخت فيَّ الإخلاص والحب العميقَين لوطني ومجتمعي، إلى جانب الحرص على احترام الناس وصون الحقوق للجيران، والالتزام بمنظومة أخلاقنا المجتمعية (السنع)، ومن بين أهم ما علّمني إياه والداي من فضائل وعادات وقيم: التزام الصلاة وطاعة الله والصدق والإحسان وفعل الخير والأمانة والنزاهة، ولطالما كانا يوقظاني وأنا صغير جدًّا -رحمة الله عليهما- لأذهب وأصلي صلاة الفجر بالمسجد، وكم كنت أسعد وأتأثر وأنا أراقب أبي وهو ينكبّ في باكر الصباح عند المسجد على نضح الماء من البئر ليملأ الحوض؛ كي يستطيع المصلون الاغتسال والوضوء، كذلك لا يغيب عن ذهني وذاكرتي تفانيه في تلبية طلبات أية أسرة من الجيران كانت تحتاج إلى اقتراض مادة غذائية أو سواها، خاصة وأن أرباب نسبة كبيرة من هذه الأسر كانوا يبقون بعيدين عن أسرهم في رحلات الغوص طوال أشهر.

شـاهدت شاشـة تلفزيونيـة للمـرة الأولى في (1946م) تقريبًـا، وذلـك في مقـر إحـدى الشركات الأجنبيـة ضمـن جبـل علي؛ إذ أدهشـتني مشـاهد الأشـخاص وسـطها وهـم يتحركـون ويتحادثـون ويدخنـون.

وأما تجربتي مع السينما فبدأت سنة (1953م) بعد افتتاح «سينما مرشد» (سينما الوطن) في ميدان بني ياس (ميدان جمال عبد الناصر سابقًا)؛ حيث كنا نتابع الأفلام العربية باستمرار، وكانت مصرية في نسبتها الأعظم.

هنـاك اخـتلاف واضـح في سـمات الطقـس وأحوالـه في دبـي والإمـارات بالمقارنـة مـا بين الوقـت الراهـن وعقـود القـرن الماضي، وأول وأهـم الفـوارق والاختلافـات أن معـدلات ومناسـيب هطـول المطـر انخفضـت كـثيرًا في وقتنـا الحـالي، كمـا أن درجـات الحـرارة أصبحـت أكثر شـدة في فصـل الصيـف، وطبعًـا لا أعني بكلامـي هـذا أنـه لـم يكـن الحـر شـديدًا بالصيـف؛ إلا أنـه كان يبقـى أقـل وأخـف وطـأة في شـدته ونسـبته، وكان النـاس قادريـن على التكيـف مـع أحـوال الطقـس وشـدة الحـرارة مـن خلال حيـل ووسـائل عديـدة، منهـا: تصاميـم الأبنيـة التي كانـت تتضمـن في أنماطهـا وأشـكالها البراجيـل التي تسـمح بمـرور الهـواء وحريـة حركتـه ودخولـه وخروجـه مـن وإلى المنـزل؛ ممـا يخفـف مـن الحـرارة الشـديدة، وأمـا مـن لـم يكـن لديهـم أبنيـة مشـيدة على هـذا النحـو، فكانـوا يبتنـون عريشًـا مجهـزًا للاسـتخدام في موسـم القيظ يشـتمل على وسـائل وأسـاليب بسـيطة تكفـل التخفيـف مـن شـدة الحـر نوعًـا مـا، وبالنسـبة لي فقـد كنـت أقضي موسـم القيظ خلال طفـولتي المبكـرة برفقـة والـدتي في البريمـي، مسـقط رأسـها، إذ كنـا ننتقـل إلى هنـاك على ظهـور الجمـال، وفي الشـتاء كنـا نبقـى بمنزلنـا في سـكة الخيـل، وبعدهـا في فترة لاحقـة مـن حيـاتي

عقـب وفـاة والـدي كنـت أبقـى في الشـتاء برفقـة الأسرة بمنزلنـا ضمـن سـكة الخيـل، وأمـا في الصيـف، وبينمـا تشـتد درجـات الحـرارة وتغـدو غير محتملـة، فاعتدنـا أن نـمضي فترة المقيـظ بمنطقـة البراحـة (حيـث يوجـد مـبنى مستشـفى دبـي حاليًّـا)، وذلـك كمـا كان يفعـل أهـالي ديرة في دبـي طـوال عقـود متعاقبـة، إذ كانـت الأسر تنتقـل إلى المنطقـة فتـبني لهـا عريشًـا وتحفـر بئر مـاء لـتشرب منهـا، وتبقـى هنـاك إلى أن تنتهـي أيـام الحـر الشـديد، وعندمـا أصبـح لـديَّ دكاني الخـاص كنـتُ أذهـب إليـه في أثنـاء هـذه الأوقـات مـن العـام في صبـاح كل يـوم، وكمـا كان يفعـل جميـع المقيـظين في البراحـة، بواسـطة سـيارة أجـرة كانـت تنقـل النـاس مـن وإلى المنطقـة، وذلـك مقابـل روبية واحـدة في كل مـرة، حيـث توصلهـم إلى أسـواق وأماكـن محـددة في دبـي، وتعـود بهـم إلى موقـع مقيظتهـم.

لـديَّ ذكريـات جميلـة في البراحـة لا تُـنسى، ترتبـط بمجملهـا بأوقـات وأيـام الصيـف (المقيـظ التي أتحـدث عنهـا) وقـد ابتنيـتُ لي لاحقًـا بيتًـا حديثًـا في هـذه المنطقـة لا أزال أقطـن فيـه إلى غايـة الآن..

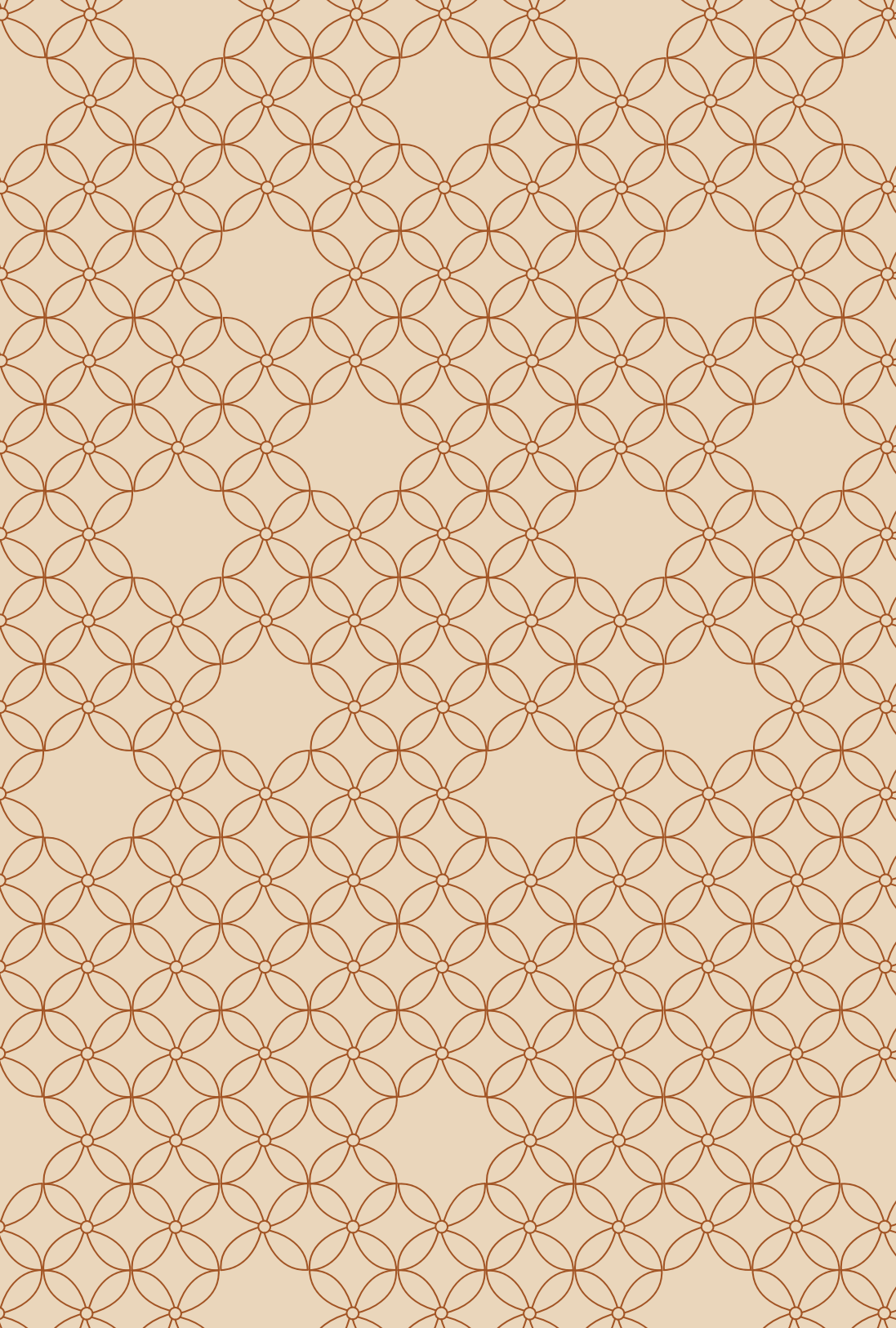

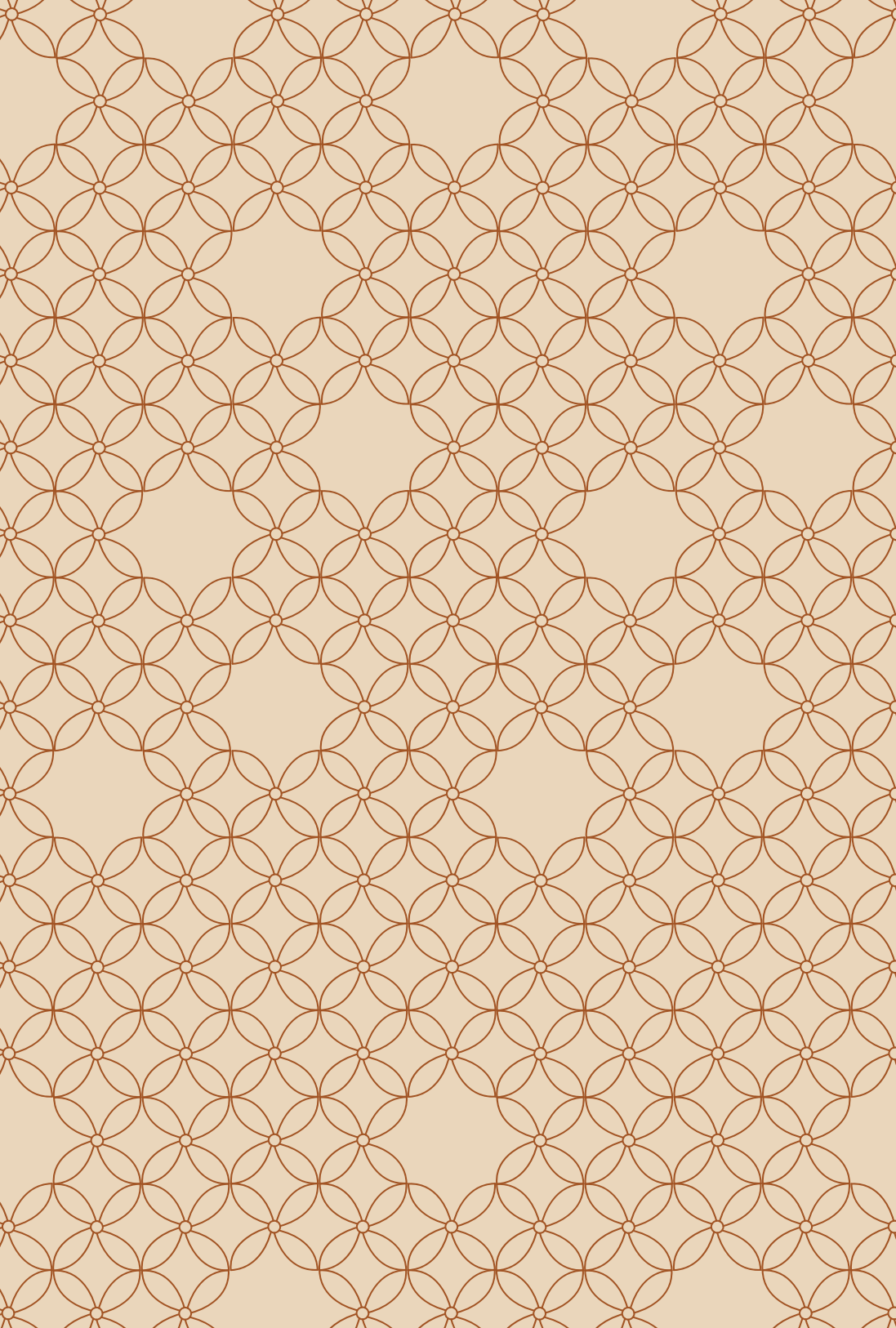

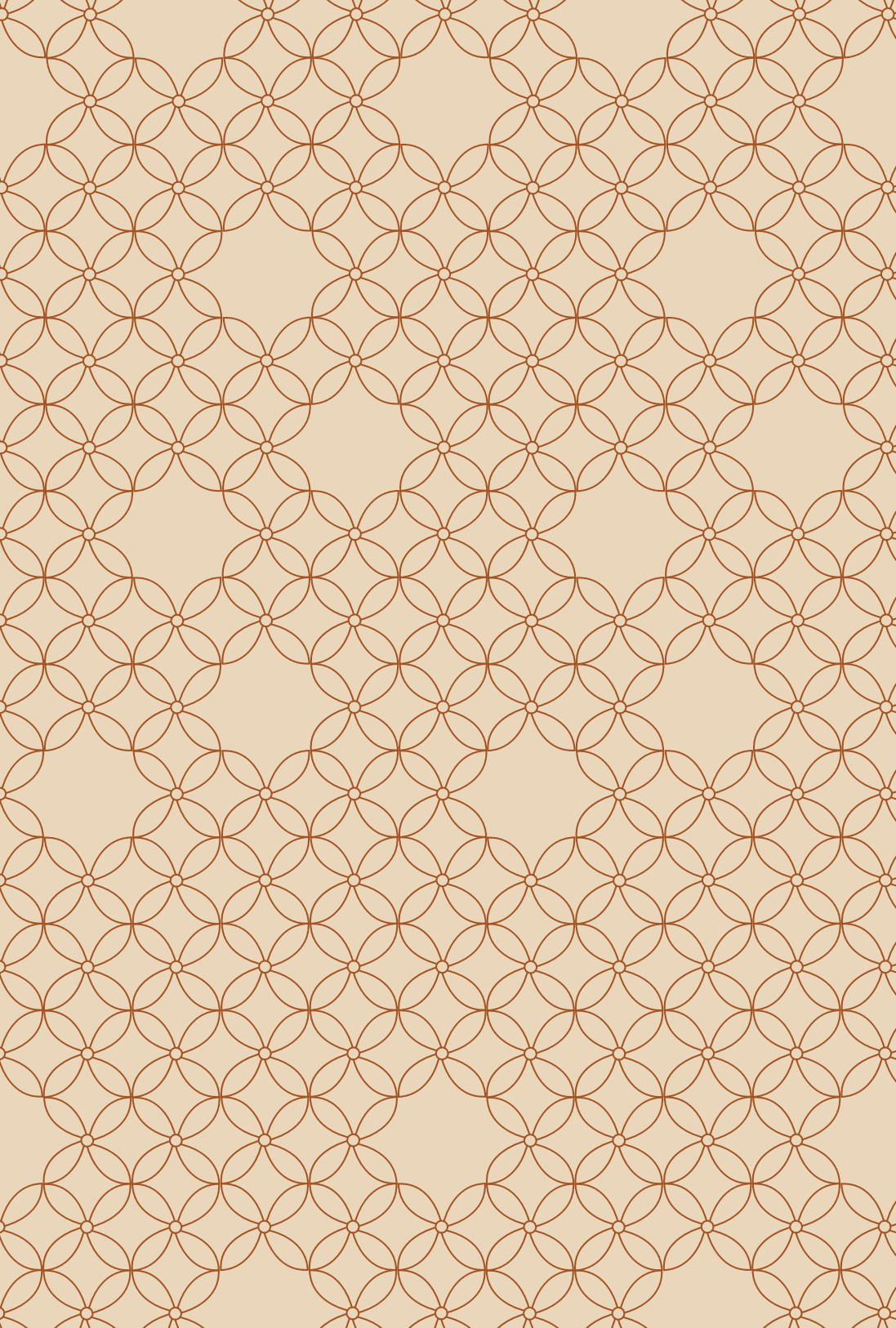

الفصل الثالث

الشباب... طموح لا يتوقف

بـدأت نهـل العلـم صـغيرًا لـدى المطـوع في فريـج سـكة الخيـل؛ حيـث تعلمـت تلاوة القـرآن الكريـم، ومبـادئ وأصـول الـصلاة والصيـام، وشـعائر الديـن الحنيـف. ثـم واصلـت مشـوار دراستي بمدرسـة الأحمديـة بمنطقـة الـراس؛ إذ درسـتُ مـواد علميـة متنوعـة.

الروضـة: لـم ألتحـق بروضـة رسـمية نظاميـة؛ لـكني درسـت لـدى المطـوع.

الابتدائيـة: أمضيـت ثلاث سـنوات في مدرسـة الأحمديـة في دبـي، وممّـا تعلمتـه فيهـا الحسـاب والإملاء.

الإعداديـة: لـم أنخـرط في دراسـة رسـمية متخصّصـة بالمرحلـة الإعداديـة.

الثانويـة: لـم أتلـقَّ تعليمًـا رسـميًّا متخصصًا بهذه المرحلـة؛ بـل درسـت مناهـج تعليميـة متقدمـة نظمتهـا البعثـة التعليميـة الكويتيـة.

إذًا، ، فقد استهللتُ مشواري التعليمي بالدراسة لدى المطوع، كنتُ حينها في الرابعة من العمر، وتعلمت على يد مطوع يدعى محمد حسين الجزيري، الذي كان يدرسنا في بيته بالفريج، وكنا قرابة العشرين طفلًا، وبطبيعة الحال كان يعرف أهالينا جميعًا وهم يعرفونه.

كان الجزيري يعلمنا تلاوة القرآن الكريم وجميع شعائر الإسلام، ولطالما حرص على الالتزام في دروسه والجدية والصرامة وعدم التهاون أو التأخر عن معاقبة ومحاسبة المقصرين، وكنا نبدأ الدراسة بقراءة وتلاوة «جزء عم»؛ حيث كان على الطالب أن يواصل قراءته طوال سنة كاملة، ومن ثم يسمح له بالقراءة والتلاوة من المصحف الشريف مباشرة.

لطالما أحببت الدراسة والتعلم منذ الطفولة، وكان شغفي بهما ينمو ويزداد باستمرار، وتمكنت خلال دراستي لدى المطوع من أن أختم «جزء عم» في فترة قياسية، ثم بدأت أقرأ وأتلو من المصحف الشريف مباشرة، إذ تمكنت من أن أختم تلاوته خلال شهر واحد؛ فاستحققت ثناء المطوع. وأما في أثناء الدراسة في «الأحمدية» فكنت متفوقًا طوال الفترة التي أمضيتها فيها (ثلاث سنوات).

لـم ألتحـق بالجامعـة رسـميًّا؛ إلا أنني واصلـتُ طـوال مشـوار حيـاتي مـسيرةَ نهـل العلـم والتـزود بالمعرفـة وبأبجديـات النجـاح. وبالطبـع، كان ويبقـى مرجعـي ونبـع ارتـوائي في مـسيرتي هـذه، ثقافـة وعلـوم وقواميـس الريـادة المتجـذرة في دبـي، والتي رسـخها وصـاغ مضامينهـا المغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد -طيـب الله ثـراه- ومـن ثـم أغناهـا وعززهـا صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد آل مكتـوم نائـب رئيـس الدولـة، رئيـس مجلـس الـوزراء، حاكـم دبـي، رعـاه الله، ولطـالما مثلـت رؤى ومناهـج هذيـن القائديـن الملهـمين، بالنسـبة لي وللآخريـن المنـارة والقـدوة؛ إذ إنهـا تضاهـي؛ بـل تتفـوق على أرفـع الجامعـات الحافلـة بجميـع العلـوم وفنـون النجـاح وألـوان الحكمـة والـخير. لقـد اسـتفدت مـن خبرات ورؤى ومناهج المغفور له الشـيخ راشـد بـن سـعيد، جواهـر ولآلئ جمّة منـذ بدايـات مسيرتي، فـإلى جانـب كونـه بقـي -رحمـة الله عليـه- محفـزًا وداعمًـا لي وللجميـع، رسّـخ مكانتـه بوصفـه القائـد المتنـوّر الـذي أهتـدي بأفـكاره وأتعلم منـه الدروس في كافـة المجالات. إني أعتـز بـأن فكـر وسيرة المغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد يعـدّان أهـمّ وأثمـن جامعـة ونبـع علـم ومعرفـة واصلـت الاسـتزادة منهمـا، فاسـتطعت بفضلهمـا، وفي ظـل دعـم صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد وعـملي الـدؤوب وعزيـمتي وخبراتي، أن أحقـق نجاحـات نوعيـة.

لا أبالـغ مطلقًـا في القـول إنني اسـتمررتُ أعـتبر نـفسي خلال مراحـل ومحطـات حيـاتي العمليـة والمجتمعيـة العامـة طالـب علـم وتلميـذًا نجيبًـا في صفـوف دبـي الـخير والإبـداع، التي تختـزن كنـوز فكـر وعلـم ومبـادئ متخصصـة بفنـون النجـاح والعطـاء والريـادة والتسـامح تتفـوق بهـا على أعـرق وأهـم جامعـات عالمنـا.

وكـم أنـا فخـور بـأن نجاحـاتي وإنجـازاتي العمليـة تتجسـد مسـتدامة في دبـي والإمـارات، بينمـا هـي تضاهـي وتماثـل ألمـع مشـاريع وحلقـات ومراتـب التخـرج الجامعـي والأكاديمـي؛ إذ أسـعد وأتبـارك خلالهـا أو في أعقابهـا بثنـاء قـادتي. لطـالما اعـتبرت كل مرحلـة ومحطـة نجـاح سـطرتُها في حيـاتي شـهادة تخـرج وتفـوق وإنجـاز جديدة وأنـا أهتدي بأنـوار دبـي.

مُلهمي ومُعلّمي الأول، المغفور له الشيخ راشد بن سعيد -طيب الله ثراه- والذي كان وبقي نبراسًا يلهمني، وخير قدوة لي في فضاءات ودروب العزيمة والإرادة وعشق التميز، ومواصلة مسيرة النجاحات، والتمسك بالمحبة والصدق والعدل والانفتاح والحرص على المغامرة والتمكن من فنون القيادة الفاعلة.

كما أن كنوز فكر ورؤى وعزيمة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، والتي برزت منذ شبابه ومن ثم تنامت وبلغت آفاقًا لا حدود لها، شكّلت كواكب درّيّة في حياتي

أنـارت أمامـي الـدروب وعلمـتني ووجهـتني، فتملكـت بفضلهـا مفاتيـح نجـاح جوهريـة فريـدة شرّعـت أمامـي بوابـات وعوالـم الجـدارة والتفـوق والصـدارة، خاصـة في ظـل دعـم سـموه اللامحـدود، كمـا أنهـا كرسـت في دواخلي ضرورة الـدأب والجـد باسـتمرار لتحـدّي كل مـا يبـدو مسـتحيلًا، علاوة على ضرورة الإيمـان الراسـخ بـأن الأخلاق والتنميـة والنجـاح كلٌّ واحـدٌ لا ينفصـل، يجـدر بنـا التزامـه والتمسـك بـه، أيضًـا أن عمـل الـخير والإنجـاز والريـادة يجـدر أن تكـون مسـارات متوازيـة ومتكاملـة في حياتنـا.

إن مؤلفات وفكر ورؤى ومبادرات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ينابيع إلهام ومعرفة وتعلم لا أكتفي من الارتواء منها؛ إذ إنني اكتشفت وما زلت أكتشف في ثناياها في كل يوم وحين قيمًا وروائع جديدة، كما أنني وحين أعود بالذاكرة إلى الخلف قليلًا، وأستعيد كلام سموه وهو يحدثنا خلال جلسات غداء يوم الثلاثاء المخصصة لرجال الأعمال، عن طموحاته ومشروعاته القادمة، أدرك أن المستحيل لا وجود له بالفعل، عندما تكون همة القائد المبدع معانقة للجبال، وفكره مصافحًا للشمس، وروحه وقلبه نابضين بالجمال والمحبة والعدل، هكذا هو باني نهضة دبي في الحقيقة... وهكذا هي أفكاره ورؤاه وكتبه التي كانت وتبقى أنصع وأزهى مدارس نتعلم فيها، وأبهى منارات نهتدي في حضرتها إلى دروب التميز في ميادين السياسة والاقتصاد والأعمال والمجتمع والثقافة والإبداع... وغيرها.

وتحضرني في هذا السياق باقة مقولات وأفكار نيّرة وقصص ومبادئ رفيعة القيمة، تروي حقيقة شخص سموه الكريم المزدان أبدًا بألق الفرادة والفراسة والريادة؛ حيث كتبها وتحدث عنها في مؤلفاته المتنوعة، وأقتبس ههنا مقطعين من كتابَي سموه: «رؤيتي» و«قصتي»،

إذ دوّن في الأول: «رؤيـة القائـد ليسـت رؤيـة اقتصاديـة وتنمويـة فقـط؛ بـل رؤيـة اجتماعيـة وأخلاقيـة تتكامـل فيها التنميـة مـع الأخلاق...». وأمـا في كتـاب «قـصتي»، فكتـب سـموه: «أعشـق تحطيـم حواجـز جديـدة أمـام شـعبي، أحـب الوصـول إلى قمـم غير متوقعـة، وأؤمـن بـأن مـا يقـود الشـعوب نحـو التطـور ليـس الوفـرة الماديـة فقـط؛ بـل الطمـوح... الطمـوح العظيـم».

في العام (1963م) في الهند؛ حصلت على رخصة قيادة مركبة عادية، ومن ثم نِلتُ رخصة قيادة دولية بعد أن خضعت لبرامج تعليمية لقيادة المركبة ضمن مدرسة متخصصة، وقد قدت السيارة للمرة الأولى في شوارع مدينة بومباي، ولم أشعر حينها بالرهبة أو الخوف مطلقًا؛ بل بالثقة والتمكن، ولطالما مثلت قيادة السيارة والتنقل بها حينما كنت في الهند، أحد أهم مقومات نجاحي في إنجاز أعمالي ومتابعة تجارتي بفاعلية؛ إذ إن تجارتي كانت قد تنوعت وكبرت آنذاك، فعززت السيارة من قدرتي على اختصار الكثير من الوقت والجهد، وتحقيق إنجازات إضافية.

أنا عاشق للطبيعة والسفر، أحب استكشاف الأماكن والثقافات الجديدة والمتنوعة، وأفضّل كثيرًا جلسات «البر» بمزرعتي وسط هدوء الصحراء، حيث يمكنني أن أحظى بوقت مثالي للتأمل والتفكير بعمق، بعيدًا عن ضغوطات العمل ومشاغل الحياة، كما أنني أهوى ممارسة نشاطات ورياضات عديدة، وتأتي في مقدمتها رياضتا اليوغا والدراجات الهوائية، وسباقات الهجن والخيول.

وفي العموم، تبقى درّة وتاج اهتماماتي العائلة ولمّاتها وتواصلها وجلساتها، خاصة وأنني لم أكن أقضي معها الكثير من الوقت في السنوات الأولى بسبب ضغوطات العمل.

كذلك أنا محب للفن التشكيلي بأنواعه، وأفضّل زيارة الأماكن التاريخية والمعالم الحضارية القديمة والعصرية في شتى أرجاء المعمورة، كما أنني كنت أُربّي الخيول وأشترك بسباقاتها، ولطالما كانت رحلات الصيد (صيد الأسماك وصيد الحيوانات البرية) برفقة الأصدقاء مصدر فرحي ومتعتي.

أحاول أن أنظم أوقاتي طوال أيام وشهور وفصول السنة بشكل مدروس، بحيث أخصص الوقت الكافي لإنجاز الأعمال والاجتماعات والصفقات والترتيبات الخاصة بمجموعة شركاتي من دون أن يؤثر ذلك في الوقت الذي يجب أن أمنحه للعائلة؛ فأكون معها تمامًا خلاله. عادة ما أصل إلى مكتبي خلال أيام الدوام في ساعة محددة صباحًا، فأتابع تفاصيل العمل وتطوراته ومسيرته، وبعد انتهاء ساعات عملي، أحرص على تناول الغداء مع الأسرة، كما ألتقي أحيانًا ببعض الأصدقاء في المساء، وفي العطل الأسبوعية أختار في مرات أن أمضي وقتًا جيدًا في مزرعتي بالذيد لأحظى بالسكينة والهدوء والتأمل، كما أنني أمارس مجموعة من الهوايات والرياضات المفضلة بانتظام.

ويجتمع أبنائي وبناتي وأحفادي في منزلي باستمرار، حيث نمضي أوقاتًا هانئة مرحة نتبادل خلالها الأحاديث ونتناول الغداء، وأما برامج سفرنا وزياراتنا إلى مختلف دول العالم، فهي مستمرة في الصيف والشتاء، إذ نسافر -معًا أو في مجموعات، أو يسافر كل منا لوحده- قاصدين أهم المعالم والمدن والمناطق في دول أوروبا وأمريكا وآسيا وأستراليا. وكثيرًا ما أخصص وقتًا للجلوس مع أحفادي، فأفتح نقاشات متنوعة معهم أحدثهم في أثنائها عن تراثنا وعاداتنا وتقاليدنا. وعن جماليات مجتمعنا وماضي دبي والإمارات وحاضرهما المشرق، وذلك بهدف ترسيخ قيم الهوية الوطنية في عقولهم وقلوبهم، وتعزيز حبهم وولائهم لوطنهم.

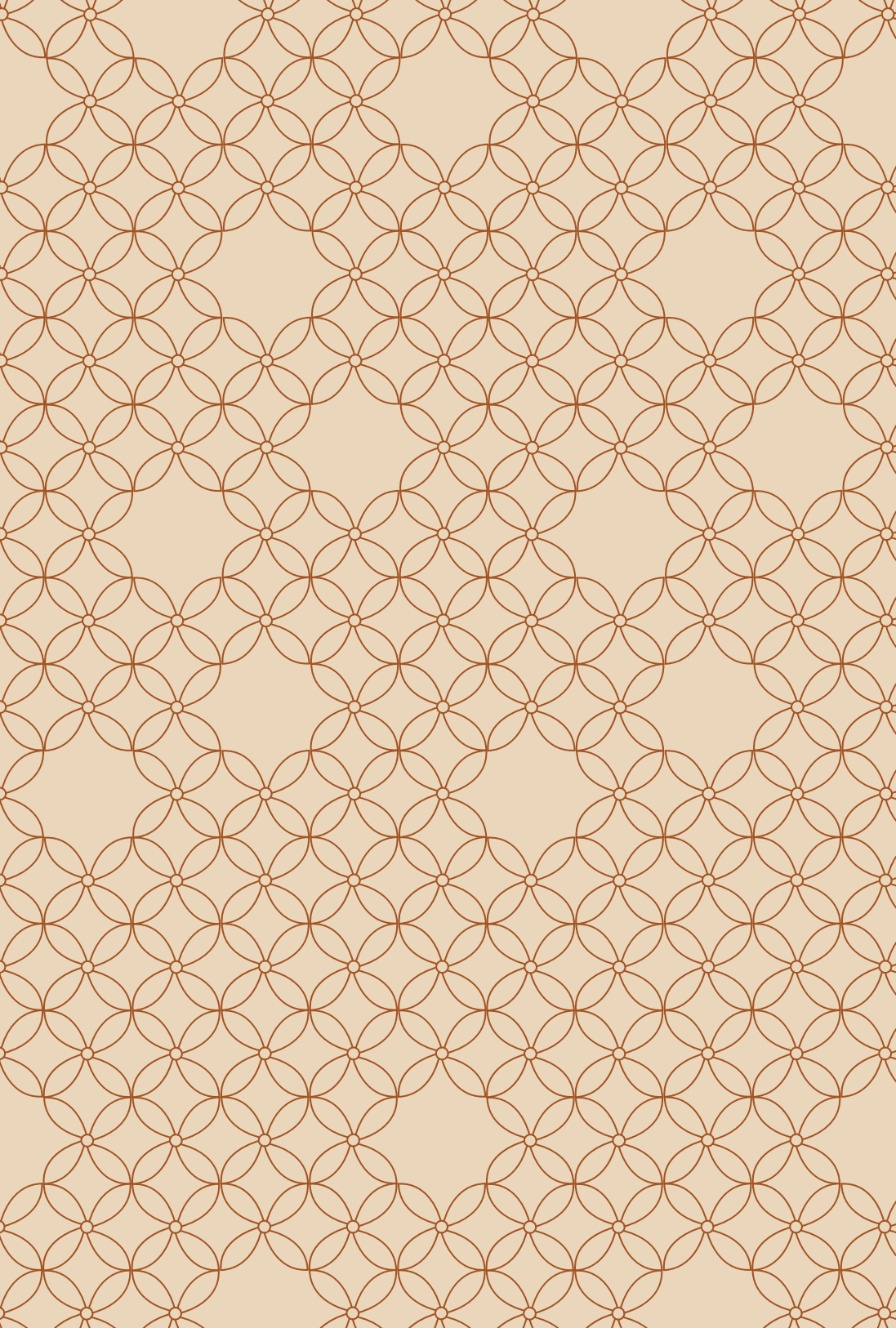

الفصل الرابع

العمل... إنجاز وأمل

عملت بداية شغّيلًا (صبيًّا) في دكان أحد تجار القماش بمنطقة ديرة طوال ثلاث سنوات، حيث كنت أساعده في الأعمال، وأحرص على أن أكتسب الخبرة في مجال التجارة خلالها، ومن ثم فتحت دكاني الخاص قرب سوق الذهب في ديرة.

فبعد عودتي من رحلة علاج إحدى عيني بشيراز سنة (1956م)، رفضت العودة للعمل بأجر، واعتزمت افتتاح دكاني الخاص، رغم أني لا أملك رأس المال، وعرض ربُّ عملي السابق تزويدي بأقمشة بثلاثة آلاف روبية مقابل نسبة أرباح، فوافقت وافتتحت دكاني وتزودت من تجار هنود بأقمشة بالدَّين، وكان عمري سبعة عشر عامًا، وحققت أرباحًا متميزة بلغت بالعام الأول أحد عشر ألف روبية؛ ما زادني إصرارًا وطموحًا.

بعد وفاة والدي، الذي كنا نعيش في كنفه مرفهين ولا ينقصنا شيء، أصبحنا كأسرة بلا معين أو مورد، وكان لا بد أن أعمل، فأخذتني أمي إلى تاجر قماش من أبناء عمومة أبي وطلبت منه أن يشغلني عنده ويعلمني المهنة، وهكذا باشرت العمل لديه، وكنت خلالها أواصل التفكير بتطوير وضعي، وإيجاد وسيلة لتوفير مدخول إضافي، فكنت مثلًا، أتأمل التجار من حولي، الذين كانوا يستوردون بضائعهم من الخارج، إذ تأتيهم وهي موضوعة داخل صناديق خشبية اعتادوا بيعها إلى النجارين بعد تفريغها مما تتضمنه من سلع، فقررت أن أخوض غمار هذه التجربة، إلا أن هناك بعض الصعوبات التي كانت تحول دون قدرتي على تنفيذ ما أرغب به؛ ولكنني، بعزيمتي وإصراري والتفكير المستمر بإيجاد الحلول، استطعت أن أباشر الاتّجار بها، فرحت أشتري الصناديق الخشبية من التجار وأبيعها للنجارين، وأتحصل من بيع كل صندوق على ربح قدره ما بين الثلاث إلى أربع روبيات.

منذ انطلقت محطات رحلتي المهنية، لم أستطع تقبل فكرة العمل بوصفي موظفًا يتقاضى راتبًا شهريًّا. وهكذا اتخذت قرارًا حاسمًا عام (1956م) -كما ذكرت سابقًا- بألّا أعمل في وظيفة أو عند أحد بعدها، فافتتحت دكاني الخاص، ورحت أحقق النجاحات النوعية المتواصلة، وأنصح جميع الشباب أن يغامروا ولا يترددوا باتخاذ قرارات على

هـذا النحـو، مـا دامـوا يمتلكـون الإرادة ويحبـون العمـل.

كان أول راتـب شـهري تقاضيتـه أربع روبيـات، وفي مقاييس وحسـابات وقتنـا الراهـن فـإن هـذا المبلـغ لا تتعـدى قيمته الأربـعين أو الخمـسين درهمًـا، لقـد كان ذلـك المبلـغ في المجمـل يعـد زهيـدًا جـدًّا؛ إذ إنـه لـم يكـن يكفـي لدفـع كُلَـف وجبـات يوميـة لشـخص واحـد فقـط، فمـا بالـك إذًا بالاحتياجـات الحياتيـة الأخـرى؟ وأيضًـا بمـا هـو مطلـوب مني مـن مـال أوفـره لأمـي ليسـاعدها في تـأمين مصاريـف واحتياجـات الأسرة؟

أعطيـت أول راتـب اسـتلمته لأمـي، وكان أربـع روبيات؛ ذلك كـي أعينهـا على تـوفير الاحتياجـات المعيشـية الحياتيـة، كما أنني كنـت أسـتلم مـن ربِّ عـملي ربع روبية كـمصروف غداء، فأذهـب بهـا إلى الخبـاز المجـاور وأشتري رغيـف خبـز وكوبًـا مـن الشـاي. وفي فترة لاحقـة بدأت أسـتلم بيـدي يوميًّا من تجـارتي بالصناديق الخشـبية بين الـثلاث والأربع روبيات من بيـع كل صنـدوق؛ إذ كنـت أذهـب إلى مطعـم جعفـر الـذي كان يقـع داخـل السـوق، وأتنـاول وجبـة غـداء مؤلفـة مـن السـمك المـقلي والعيـش والخبـز، وأمـا مـا يتبقـى مـن المال فكنـت أدخـر جـزءًا منـه وأعطـي الآخـر لأمـي، وخلال هـذه الـفترة أصبحـت أخصـص الربـع روبيـة التي كنـت أسـتلمها مـن الـدكان كـمصروف يومـي لي لشراء الشـاي.

أعتـزُّ بكـوني حاليًّـا أحـد رجـال الأعمـال الذيـن يسـهمون في إثـراء وتقويـة دعائـم نهضـة دبـي، وتعزيـز مكانتهـا العالميـة مـن خلال مشروعـاتي العقاريـة وأعمـالي التجاريـة المتناميـة، وأفخـر أني مؤسـس مدينـة دبـي الرياضيـة «سـبورت سـيتي» و«ميركاتـو مـول»، كمـا أنني حققـت نجاحـات مهمـة في قطـاع الأسـهم والعقـارات، وتشـمل أعمـالي أيضًـا المقـاولات، وسـوى ذلـك مـن المجـالات.

أنـا مالـك ورئيـس مجلـس إدارة مجموعـة شركات عبـد الرحيـم محمـد الزرعـوني، كمـا أنني -وبفضـل دعـم صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد- مؤسـس مدينـة دبـي الرياضيـة التي تحقـق نجاحـات مهمـة، حيـث دعـمني سـموه بمنحـي الأرض ووفـر لي كل مقومـات نمـو وتميـز هـذه المدينـة التي تحمـل اسـم دبـي على الصعيـد العالمـي، وأيضًـا لـدي شركات ومراكـز تجاريـة ومشروعـات عديـدة، ومـن بينهـا: شركـة ألعـاب ناريـة، كما أنني مؤسـس ومالـك «ميركاتو مـول» و«تـاون سـنتر»، ولـدي مجموعـة أسـهم عاليـة القيمـة، إضافـة إلى عقـارات كـثيرة مهمـة بدبـي والإمـارات عمومًـا.

أول سيارة اشتريتها كانت سيارة (مرسيدس 280SL)، وهذا النوع كان يعد الأشهر والأهم خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وقد اقتنيتها في العام (1970م) عقب أن أصبحت أحوالي المادية جيدة جدًّا، فوفيت بهذا عهدًا قطعته على نفسي فيما سبق، إذ لطالما كنت أردد دومًا: «إذا وفقني الله وأثريت، فسأشتري هذه السيارة».

مطلع سبعينيات القرن الماضي، وإبان الحرب بين الهند وباكستان، اعترضت بارجة هندية في بحر العرب سفينة أملكها فصادرت حمولتها من الذهب، وكان يشترك معي برأسمال الشحنة عدة مستثمرين، فأبلغتهم بما حصل؛ ولكنهم لم يصدقوني هم والكثير من التجار الآخرين، وراحوا يشيعون بأني غير صادق، حتى وصل الأمر إلى المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، فذهبت إليه وشرحت ما حدث، وبفضل حكمته ورشده لم يتأثر بتلك الأقاويل؛ بل استمع إليّ، ثم وجه المسؤولين بمخاطبة الجهات الرسمية الهندية وسؤالها عن مصير البضاعة.

إن حـكّام دبـي سـطّروا، ومنـذ تأسـيس الإمـارة، أرفـع القصـص والملاحـم الوطنيـة البطوليـة، وهنـاك الكـثير مـن الحكايـات والمآثـر التي سـمعت عنهـا تـروي سيرة ثبـات وشـجاعة وهمـة وجسـارة آل مكتـوم الكـرام، والذيـن تحدوا الصعـاب بقـوة وإصرار، فبنـوا صروح ريـادة دبـي وحصنوهـا بالمحبـة والوئـام والانسـجام والانفتـاح والتعايـش. وأستشـهد ههنـا بباقـة مـن هـذه الأفعـال البطوليـة، وتـأتي على رأسـها إصلاحـات الشـيخ مكتـوم بـن حشر آل مكتـوم الـذي اسـتطاع في ضوئهـا تحويـل دبـي إلى مركـز تجـاري رئيسي في المنطقـة، وتمكـن مـن اسـتقطاب التجـار إليهـا مـن لنجـة. ومـن بين فرائـد القصـص والإنجـازات الـخيّرة العظيمـة التي سـمعتها أيضًـا، سير حكمـة وذكاء وعزيمـة الشـيخ سـعيد بـن مكتـوم، الـذي أسـس لمسيرة نمـاء وازدهـار دبـي بثقـة وتمكـن وثبـات، وذلـك بينمـا كانـت تعصـف بالعالـم أزمـات اقتصاديـة طاحنـة، وهـو مـا سـار على أثـره أيضًـا، المغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد عبر إنجازاتـه الهائلـة، والتي تشرفـت بـأن أعايشـها وألمسـها عـن كثـب.

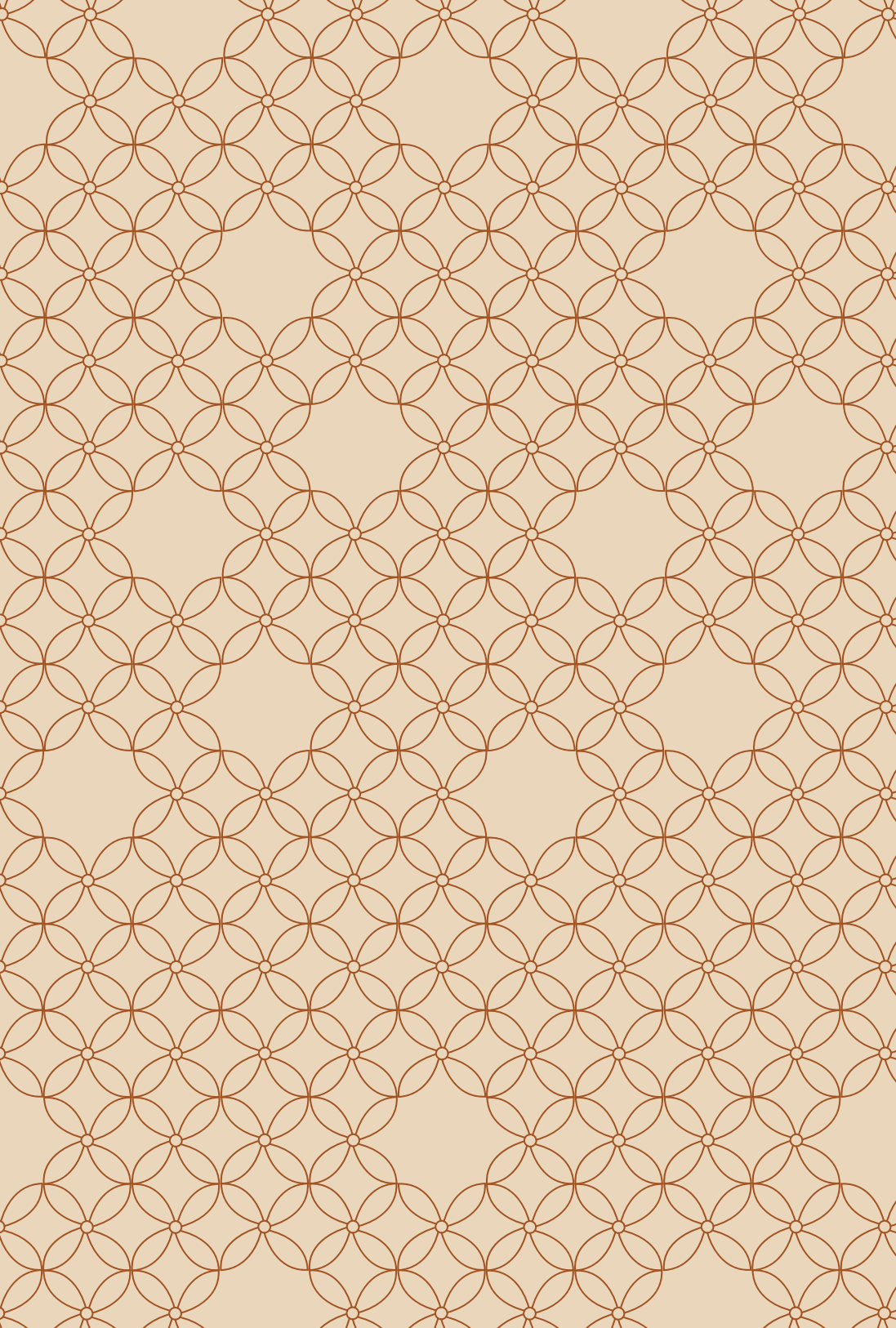

الفصل الخامس

الحياة العائلية...إرث لا ينتهي

تزوجت في العام (1965م)، وكنت حينها قد أصبحت تاجرًا ناجحًا، وحباني الله بزوجة صالحة كريمة كانت لي خير عون في الحياة، والأم المثالية التي ربت أبناءنا وبناتنا على الصدق والإيمان والمحبة والتعلق بالنجاح وعمل الخير. وأما قصة زواجي فكانت تقليدية؛ إلا أنني كنت أعلم جيدًا من هي عروسي ومن هم أهلها، حيث إنها تقيم بفريج المرر، وخطبها لي أحد أبناء عمومتي بينما كنت بالهند أتابع أعمالي، وذلك بعد أن اقترحها عليّ وشاورني، إذ قبلت ووكلته لينوب عني بإتمام إجراءات عقد القران، وحين عدت إلى دبي أقمت حفل العرس في بيت ابن عمي نفسه المجاور لمنزل أهل عروسي حينذاك.

لقـد رزقني الله بثلاثـة أبنـاء وثلاث بنـات، أبنـائي الذكـور درسـوا مجـالات إدارة الأعمـال والاقتصـاد في أمريـكا، وهـم يتولـون الآن مسـؤوليات رفيعـة في شركاتي وقطاعـات أعمـالي، وأمـا البنـات فـدرسن تخصصـات متنوعـة، وأحمـد الله أنهـم جميعًـا هـم وأفـراد أسرهـم أصحـاب سـلوكيات قويمـة، ومحبـون لوطنهـم، ولا يدخـرون جهـودًا في سـبيل بلـوغ أهـم درجـات النجـاح والتميـز.

إن الأبـوة -كمـا أراهـا- هـي نعمـة مـن رب العـالمين لا تضاهيها أيـة نعمـة أخـرى، وهـي أيضًـا الاسـتثمار الحقيقـي الأثمـن الـذي يراقـب ويحاسـب عليـه الرجـل منـا أمـام الله والمجتمـع. ولطـالما بقـي إيمـاني قاطعًـا بـأن الأبـوة محبـة وعطـاء وتفـانٍ، بجانـب كونهـا التزامًـا وحرصًـا ومسـؤولية تقـتضي منـك أن تـبني شـخصيات أبنائـك على أكمـل حـال ليكونـوا أهلًا لتحمـل المهـام الجسـام في مسـارات تطويـر ونمـاء دولتـك ومجتمعـك، كمـا أنهـا تحتّـم عليـك أن تغـرس فيهـم قيـم حـب الوطـن والصـدق والاسـتقامة والجديـة والتسـامح، وأن تجعلهـم يمتلكـون أعلى درجـات العلـوم والكفـاءة.

لا بدَّ أن أؤكد بدايةً أن قيم الخير والانفتاح والمحبة والألفة والعطف والتعاضد والتعايش تبقى أصيلة راسخة الجذور في مجتمع الإمارات؛ إلا أننا لن نستطيع صونها وحماية جواهرها وترسيخها في نفوس الأجيال حاليًّا إلا من خلال تربية أسرية محكمة ودقيقة، وذلك في ظل ما تشهده من تحديات ثقافية ومجتمعية عاصفة أخذت تهدد هويتنا، ومكون التقاليد والعادات والقيم.

ولا جدال في أن الاختلاف والتباين في تربية الأبناء ما بين الوقت الحاضر وفي الماضي أصبح بارزًا وكبيرا جدًّا. ففي وقتنا الحالي لم تعد التربية مسؤولية اعتيادية؛ بل تحتاج من الوالدين متابعة حثيثة ودقيقة لأبنائهما جراء ما نعيشه من زحمة متغيرات وتطورات ومخاطر حياتية متفرقة تؤججها الآثار والجوانب السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الرقمية التي تجتذب الأبناء، وتقدم لهم أفكارًا سامة هدّامة بعيدة عن عاداتهم وتقاليدهم؛ بحيث يمكن أن تجعلهم غير عمليين ولا يبالون بالنجاح والعمل والتطور. لقد تضاعفت وتعقدت في الوقت الراهن مسؤوليات الوالدين في تربية أولادهما وتوعيتهم، ذلك لأن جهات كثيرة باتت تشترك معهما بهذه العملية وقسم كبير منها يلعب دورًا تخريبيًّا.

ويجـدر بنـا ألّا نـنسى أن عمليـة تربيـة الأبنـاء لـم تعـد محصـورة بـالأم والأب فقـط، ففـي ظـل انخـراط النسـاء بمجالات الأعمـال أصبحـت المربيـات يشتركـن بهـذه المهـام، ومؤكـد أن لهـذا تبعـات ونتائـج كـثيرة تؤثـر في ثقافـة وسـلوكيات أبنائنـا يجـب أن نحتـاط منهـا ونـحترس. وأمـا في السـابق فلعـل تربيـة الأبنـاء كانـت أسـهل، كـون الأم حينهـا متفرغـة لتربيـة الأبنـاء، ولا تعتمـد على مسـاعدة المربيـات، وأيضًـا لـم يكـن هنـاك مهـددات وأخطـار تربويـة وحياتيـة بهـذا الحجـم الـذي تشـهده حاليًّـا، كمـا أن الحيـاة المجتمعيـة والمجالـس وطقـوس الأحيـاء وثقافـة الاحترام السـائدة والقيـم الراسـخة، كانـت مسـائل تـعين الأهل على تربيـة أبنائهـم بشـكل قويـم، وتسـهل قدرتهـم على جعلهـم ناجـحين يتحلـون بالخلـق الرفيـع مخلـصين لدينهـم ولوطنهـم ولمجتمعهـم، وكفؤيـن يعشـقون العمـل وفعـل الـخير، ولا يتأخـرون عـن مسـاعدة النـاس وأداء واجباتهـم على أكمـل وجـه.

FRENCH
TOASTS

FRENCH
TOASTS

تُعد اللقاءات والجلسات العائلية المتواصلة على مدار كل أسبوع تقليدًا أساسيًّا نلتزم به، إذ يجتمع أبنائي وزوجاتهم وبناتي وأزواجهن وأحفادي فنتبادل الأحاديث، ونتغدى سويًّا، ونحتفي بتقاليدنا وقيمنا الإماراتية، كما ننظم لقاءً سنويًّا خاصًّا نجتمع خلاله، يضم أبنائي وبناتي وأسرهم، وأبناء أخي وبناته وأسرهم كافة وأحفادنا جميعًا، وأيضًا تكرر هذه اللمة واللقاء في عيد الفطر وعيد الأضحى، ونلتقط بختام لقاءاتنا صورة تذكارية جماعية.

هناك العديد من القيم والدروس التي رسخها الآباء والأجداد، وأيضًا مجتمع دبي والإمارات عامة في وجداني ومهجتي وعقلي، وبالطبع يبقى تاجها وفؤادها حب الوطن والإخلاص في الولاء لقادتي، وأما عطرها وجوهرها فالإيمان بالله قولًا وفعلًا، والحرص على خدمة ديننا الحنيف وأداء شعائره. لقد زرع أبي وأمي وقادة دبي الذين أقتدي بسيرهم ومناقبهم، في دواخلي وبأعماق كياني، الأخلاق الحميدة والتمسك بروح الأصالة والمحبة والخبر والانفتاح والتسامح والتعايش، بموازاة التفاني في خدمة وطني وإعلاء رايات تميزه.

تلك هي المبادئ والأسس والصفات التي تمثل دستور حياتي والأعمدة الجوهرية في مسارات نهجي وأعمالي، إنها ذهب الفضائل والسجايا والعبر والحكم الذي ورثته من آباء وأجداد أغيار عصاميين، علموني التعلق بالنجاح وحب العمل والتطور والتقدم وصون دعائم التكافل الاجتماعي والعادات والتقاليد؛ كي يعود ذلك بالنفع عليّ وعلى أسرتي وعلى وطني ومجتمعي.

كانت أول رحلة لي إلى خارج دبي والإمارات بوجه عام إلى مسقط في عُمان سنة (1952م)، وكان عمري آنذاك ثلاث عشرة سنة، إذ كنت أعمل شغّيلًا في دكان تاجر القماش وأرسلني لأجلب أقمشة وألبسة متنوعة من هناك، وهكذا سافرت من دبي إلى مسقط عبر طريق البر، وبعد أن تزودت بالبضاعة المطلوبة، شحنتها بسيارة «اللوري»، وعدت برفقتها عبر طريق البر، حيث استغرقت الرحلة إلى دبي حوالي الـ (24) ساعة، وخلالها كنت أجلس وأنام فوق البضاعة، وكان لرحلة سفري الثانية إلى خارج الإمارات كبير الأثر في عقلي وفي نفسي، وقد كانت تحديدًا في العام (1952م)، وأما وجهتها فهي مدينة شيراز، وذلك بهدف علاج إحدى عينيّ عند طبيب معروف حينها، ومثلت تلك الرحلة تجربة مذهلة شعرت خلالها أنني أعيش في عالم من الخيال، إذ أقلّنا أنا وأصدقاء

رحلتي مركب «لنش» إلى مدينة بندر عباس أولًا، ثم ركبنا الباص عبر محطات متفرقة متواصلة إلى أن وصلنا شيراز، وقد تعرفت في أثناء الرحلة، التي استمرت خمسة عشر يومًا إلى عالم ساحر لم أكن قد رأيته من قبل، حيث شاهدت مطاعم وفنادق جميلة وأنواع طعام وفواكه كثيرة ومستشفيات متطورة ومحلات تجارية ضخمة وحدائق غنّاء ووسائط النقل المتقدمة والشوارع الإسفلتية والسيارات الفاخرة، والكثير الكثير من مفردات الحياة المتطورة التي كانت تتسم بها تلك البلاد في خمسينات القرن الماضي.

ولكم تمنيت في أثناء تلك الرحلة، أن يأتي اليوم الذي أرى فيه دبي والإمارات تحفلان بهذه الأشكال من التقدم والتميز، وأحمد الله تعالى أن أمنيتي تحققت وأنا على قيد الحياة، وعلى نحو ملهم تجسّد بأضعاف ذلك التطور الذي رأيته وعشته؛ بل وتمنيته.

أنـا فخـور بمـا حققتـه مـن إنجـازات في حيـاتي المهنيـة تنعكـس على دبـي والإمـارات، ومنهـا: إثـراء حركـة التجـارة والاسـتيراد والتصديـر بدبـي. كمـا أفخـر أني اسـتقطبت أعـرق وأضخـم نـادي كريكيـت دولي كان مقـره بلنـدن ليكـون مقـره العالمـي الرئـيسي بمدينـة دبـي الرياضيـة، وهـو إنجـاز نوعـي ومنفـرد دوليًّـا، حيـث تسـتقطب دبـي في ضوئـه فعاليـات واجتماعـات هـذا النـادي الـذي يضـم أعضـاءً مـن كافـة دول العالـم. وأنـا أتبرع، منـذ انـطلاق مهرجـان دبـي للتسـوق، بالألعـاب الناريـة التي تقـام بافتتاحـه وخلالـه بوجهـات عديـدة بدبـي. وأنظـم منـذ عـام (1991م) عرسًـا جماعيًّـا سـنويًّا، وأمـورًا أخـرى كـثيرة.

وهنـاك أيضًـا، عـدد مـن أصدقـائي هـم أصحـاب أدوار وإسـهامات جيـدة في مـسيرة نهضـة ورخـاء وتطـور دبـي والإمـارات مـن خلال أعمالهـم ومبادراتهـم في حقـول التنميـة الاقتصاديـة والمجتمعيـة والثقافيـة والخيريـة.

إن هـذه المشروعـات مثّلـت -بالنسـبة لي ولـغيري- محـط إعجـاب وفخـر كبيريـن. وتـحضرني بالسـياق ذكـرى مشروع مهـم، إذ كانـت دبـي عـام (1976م) على موعـد مـع قصـة ملهمـة مدهشـة بمسـارات إنجازاتهـا ومشروعاتهـا التنمويـة وريادتهـا، أذهلتنـا وحيرتنـا بالبدايـة؛ ولكنهـا رسـخت وأكـدت لاحقًـا الـرؤى الثاقبـة للمغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد، إذ اتخذ قـرارًا حيويًّا جريئًا، عامـذاك، تمثل باعتزامـه إنشـاء ميناء جبـل علي، والـذي افتتـح عقبهـا في سـنة (1979م). ثـم أثبتـت الأيـام أهميتـه الجوهريـة.

يأتي في مقدمة البرامج العائلية المفضلة لديّ اللقاءات الأسبوعية المتواصلة التي أشرت إليها سابقًا، إذ إنها تتضمن جلسات ونقاشات ملهمة نتبادلها جميعًا، كما نتشاور ونطرح وجهات نظر متفرقة في أثنائها، ويضاف إلى ذلك طبعًا الأسفار والرحلات الداخلية والخارجية التي نقصد ونزور خلالها مجموعة من المواقع والمعالم العصرية والتاريخية والترفيهية الأخّاذة والغنية بقيمتها، وذلك سواء في الدولة أو في مدن وأنحاء أوروبا وأمريكا وأستراليا وكندا، وسوى ذلك من الدول والقارات.

ليس من مكان وحيد مفضّل لديّ في الحقيقة، فمحطات إجازاتي تشمل في أثناء الصيف والشتاء غالبية قارات ودول العالم، إذ أحاول أن أجعلها متنوعة ومزدانة بألوان الثقافات العالمية المختلفة، فأنا عاشق لاستكشاف وجهات ومطارح جديدة وغريبة ومتباينة على الدوام؛ ولكنني بوجه عام أحب كثيرًا قضاء أوقات أطول في مملكة تايلند، ففيها أحظى بسكينة وهدوء لا مثيل لهما في أحضان الطبيعة والتضاريس الخلابة في تلك البلاد، إلى جانب الأمان الكبير والتسهيلات العديدة الموجودة هناك، وأشكال التعاون والتعامل الراقية والمريحة لدى التايلنديين، وتميز أنماط الترحيب والضيافة والخدمات المقدمة، سواء من قبل الأفراد أو من قبل المؤسسات والجهات الخاصة والحكومية.

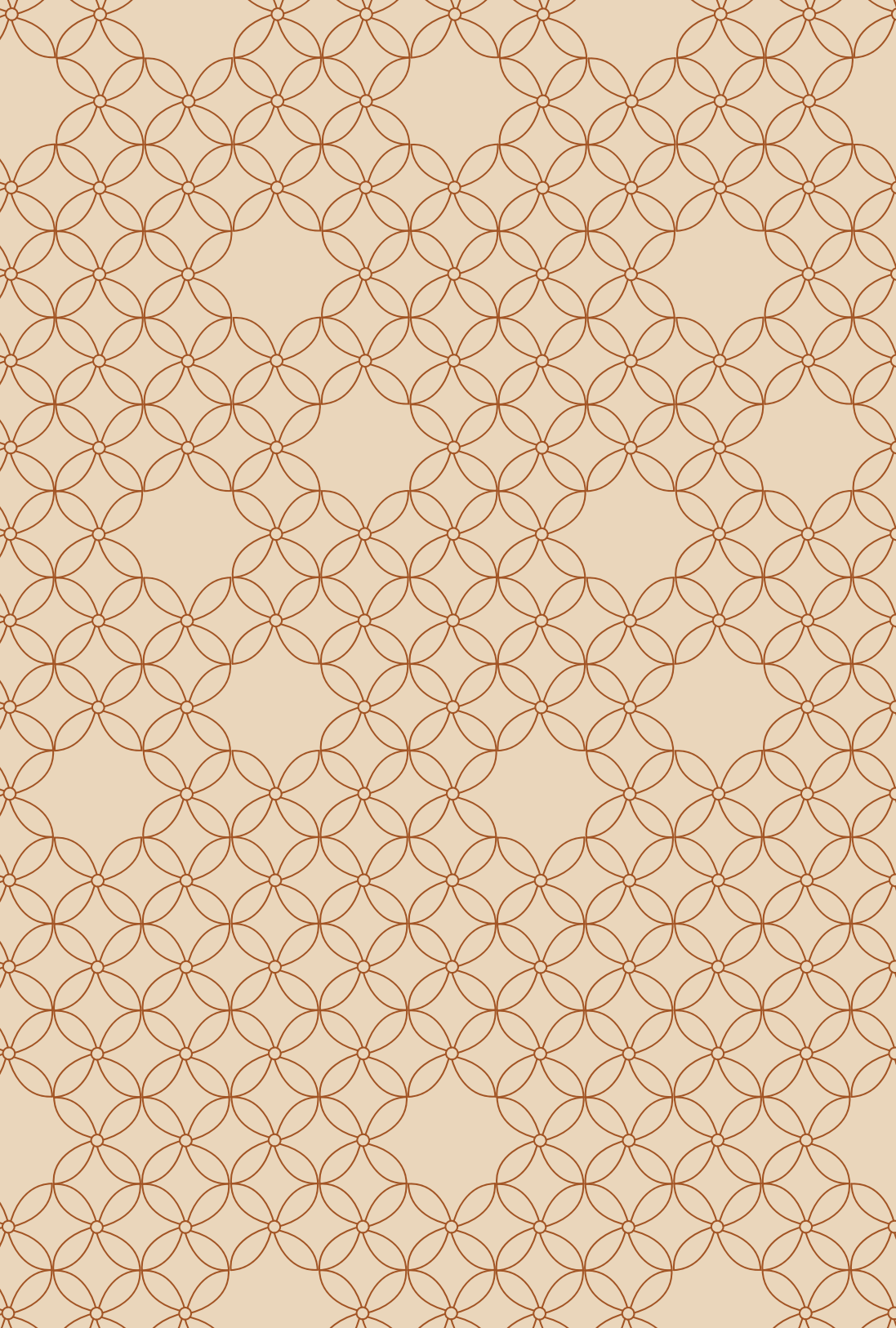

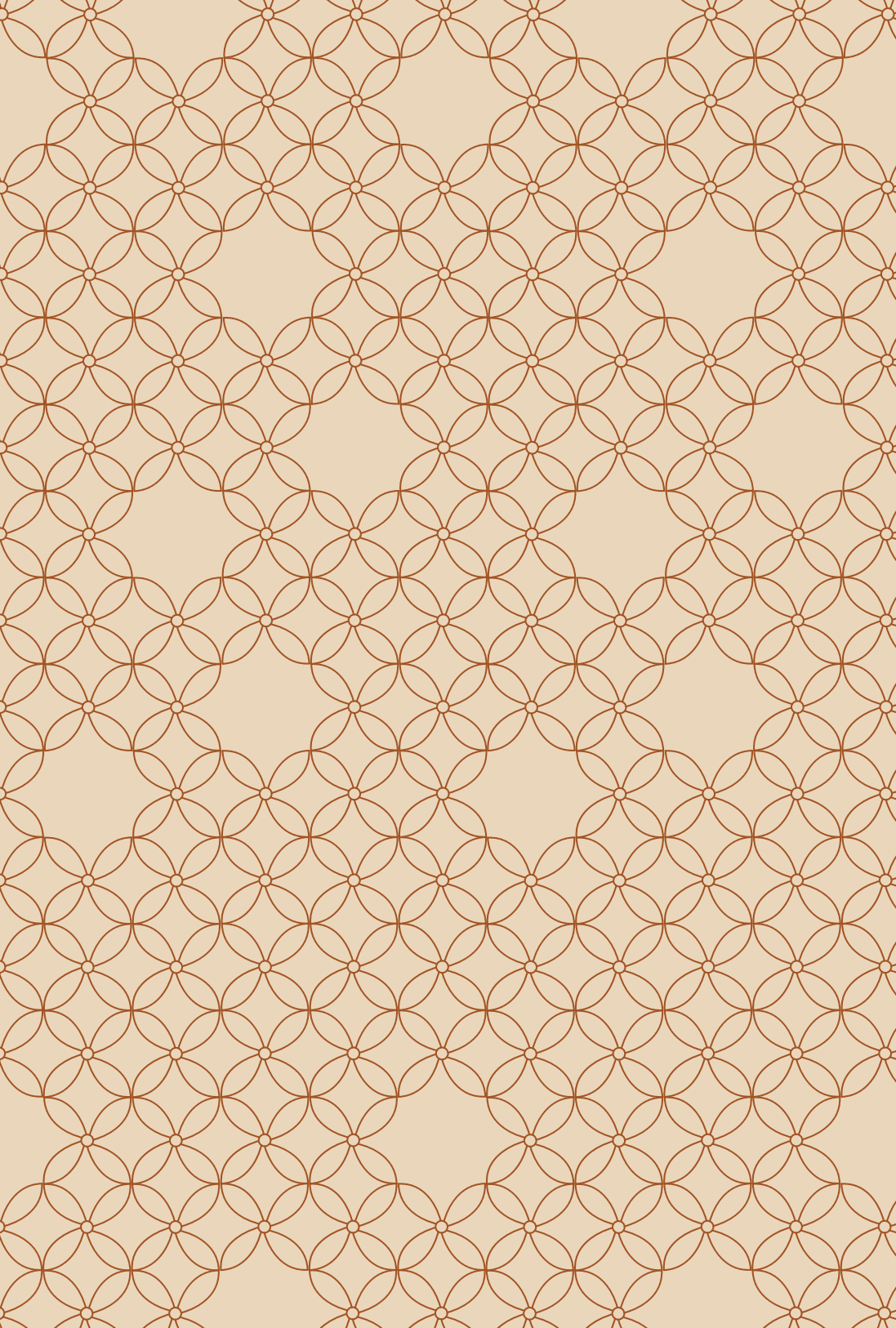

الفصل السادس

دبي... بين الماضي والحاضر

أعتـزُّ بكـوني شـاهدًا على غالبيـة وأبـرز مشروعـات ومحطـات نهضـة وتطـور دبـي قبـل الاتحـاد وبعـده، ومنهـا حفـر وتعميـق المغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد لخـور دبـي، افتتـاح مطـار دبـي، بلديـة دبـي، بنـك دبـي الـوطني، مينـاء جبـل علي، مستشـفى دبـي. كمـا أفخـر بـأني شـهدت تحـول دبـي -بفضـل رؤى وإنجـازات وخطـط صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد- إلى منـارة للعالـم في ضـوء إطلاق مشروعـات جديـدة وتطويـر مشروعـات موجـودة بالأسـاس، ومـن الأمثلـة الفريـدة في هـذا الصـدد: شركـة طيران الإمـارات، بـرج العـرب، نخلـة جـميرا، بـرج خليفـة، القمـة العالميـة للحكومـات، إكسـبو 2020 دبـي.

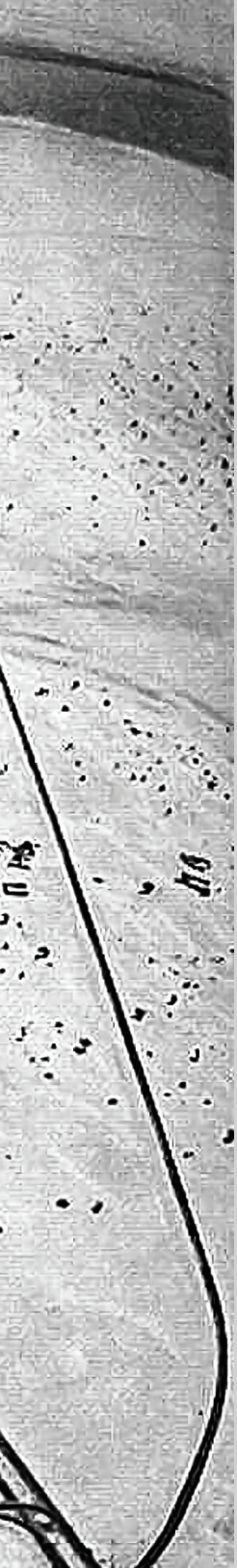

منذ قرون ودبي تعد مركزًا اقتصاديًّا حيويًّا ورئيسيًّا في المنطقة، وبالطبع أصبحت وتيرة نهضتها وتطورها وأدوارها القيادية العالمية أضخم بعد قيام الاتحاد، فغدت بفضل جهود وحكمة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد العاصمة الاقتصادية العالمية الأجدر. كما أضحت شركاتها، وعلى رأسها «موانئ دبي العالمية»، تدير قطاعات تنموية وخدماتية واقتصادية وإبداعية في دول عالمية عريقة.

لم تكن ثمة اختلافات في الجوهر، وإنما هي مسيرة طبيعية لزخم وتميز مكانة دبي الاقتصادية والتجارية الحيوية. إن دبي كانت قبل العام (1971م) بسنوات وعقود كثيرة مركزًا تجاريًّا إقليميًّا يسير بجدارة واقتدار وثقة في دروب التصدر والريادة عالميًّا، وأما بعد قيام الاتحاد، فباتت مركز العالم وواحته، ليس فقط في مجال الاقتصاد وإنما بقطاعات الثقافة والفكر والاجتماع والتسامح والعلوم والانفتاح والعمل الخيري والإنساني، ففي كل تلك الحقول ها هي دبي الآن تقود مسارات التطور، وتتحف المعمورة قاطبة بكل جديد ونوعي مؤثر من يضمن مستقبل البشرية الآمن والخير الموسوم بالرفاهية والازدهار.

مؤكـد أن هنـاك أمـورًا وجوانـب عديـدة لا تـزال ثابتـة في المضمـون، وعلى رأسـها القيـم الإيمانيـة والمجتمعيـة النبيلة، والتـزام الجميـع بـأداء صلاة العيـد في المسـجد، ولكننا نفتقد طقوسًـا جميلـة عديـدة، مثـل: المسـحراتي، والتـزاور بين النـاس وتبـادل التهـاني والتواصـل المبـاشر خلال رمضـان. وهنـاك أيضًـا اللّمّـات العفويـة المتسـمة بالبسـاطة التي كانـت تضـم رجـال الحـي الواحـد بعـد صلاة التراويـح.

كان لي الشرف بأن أشهد مناسبات وطنية كثيرة، وعلى رأسها رفع علم الإمارات لأول مرة في الثاني من ديسمبر عام (1971م) بدار الاتحاد بدبي. وأفخر أنني كنت شاهدًا وحاضرًا خلال إعلان وإطلاق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد مشروعات وإنجازات وفعاليات رائدة، منها: تدشين برج العرب، تصفيات دورات عديدة لكأس دبي العالمي للخيول، افتتاح إكسبو 2020 دبي.

لا أزال مسكونًا بعبق دكاكين العطور التي كانت منتشرة في ديرة وألق الأسواق المتنوعة فيها ونشاطها، علاوة على مشاهد البيوت المبنية من السعف ورائحة البحر، ولا تفارقني قصص وتفاصيل أيامنا الأولى في سكة الخيل ونحن أطفال نلعب ونمرح بجوار «مربعة» مريم بنت حشر. وأذكر أيضًا من بين المعالم الأخرى التي كانت موجودة: مربعة «قلعة» أم الريول (وهو مبنى كان يوجد في الموقع الذي يقوم عليه الآن مبنى دائرة الأراضي والأملاك)، والسوق القديم في الراس، و«سوق المناظر»، و«سوق العرصة» ضمنه، الذي كانت تنيخ فيه الجِمال لتفرغ حمولتها من الحطب والبضائع الأخرى، وهناك أيضًا «فندق التين» للسيد عبد الله في سكة الخيل، وسوق الخضار والفواكه والحطب في السبخة، إلى جانب مشاهد العريش والجلسات في البراحة خلال موسم المقيظ.

كان لـدى الشـيوخ وبعـض النـاس سـياراتهم الخاصـة. وكان أفـراد كـثيرون ينتقلـون مشـيًا على الأقـدام، وهنـاك العديـد مـن النـاس كانـوا يسـتخدمون الحـمير والجمـال والـعبرات بتنقلاتهـم. وكان التنقـل بالتـاكسي متاحًـا بين دبـي ومـدن ومناطـق عديـدة

تعلقـتُ في طفـولتي بتربيـة النـوارس، وكنـتُ أصطـاد الأسـماك باسـتخدام «مركوبـي» الخـاص، واعتـدت منـذ سن الشـباب الذهـاب مـع الأصدقـاء بـرحلات قنـص نصطـاد خلالهـا الطيـور والضبـان والأرانـب والغـزلان في منطقـة الباطنـة في عُمـان، وبـدءًا مـن سـبعينيات القـرن الماضي داومـت على القيـام بـرحلات أسـبوعية لصيـد الأسـماك برفقـة مجموعـة مـن الأصدقـاء وذلـك باسـتخدام «لانشـات» أملكهـا.

إن دبـي مركـز حضـاري يضـج بالحيـاة والازدهـار والنمـاء منـذ مئـات القـرون، وكنـت تجـد فيهـا الغالبيـة السـاحقة مـن المهـن والحـرف الحياتيـة المتنوعـة التي كانـت تواكـب طبيعـة النشـاط الحيـوي في المدينـة وأهميتهـا. بوصفهـا مركـزًا اقتصاديًّـا وتجاريًّـا نوعيًّـا، ومـن أبرزهـا: التجـارة، السـفافة، الحـدادة، الجـزارة، «الصفـارة»، الـتلي، صناعـة شـباك الصيـد والقـراقير والسـفن، النجـارة.

لا أتقـن سـوى التجـارة، لـم أتعلـم غيرهـا، إنهـا كانـت واسـتمرت مهـوى فـؤادي وعالمـي وخيـالي المفضـل، فمنـذ وعيـت على الدنيـا لـم أتخيـل نـفسي سـوى تاجـر ومـن ثـم رجـل أعمـال ناجـح، وأحمـد الله أن حلمـي وهـدفي تحققا على الوجـه الـذي أرومـه، وذلـك في دبـي دانـة الدنيـا وكوكبهـا المـنير، التي نجـح حكامهـا في جعلهـا جوهـرة الانفتـاح والنجـاح والتجـارة والاقتصـاد في عالمنـا.

مؤكـد أن الفـارق هائـل، فصحيـح أن دبـي كانـت مدينـة حيويـة ومنتعشـة اقتصاديًّـا ضمـن معـايير ومسـتويات ذلـك الزمـن، إلا أنهـا أصبحـت في الوقـت الحـاضر مدينـة العالـم وقلبـه ونبضـه الحضـاري والفكـري والاقتصـادي والعلمـي، بفضـل رؤى وعزيمـة صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد. إن دبـي تقـود المعمـورة حاليًّـا بجـدارة. ومؤكـد أننـا مسـتبشرون ببقائهـا في مراتـب التميـز في ضـوء فكـر وهمـة قائدنا الشـاب سـمو الشـيخ حمـدان بن محمـد بـن راشـد آل مكتـوم، ولي عهـد دبـي نائـب رئيـس مجلـس الـوزراء، وزيـر الدفـاع، وأيضًـا حـرص وحصافـة سـمو الشـيخ مكتـوم بـن محمـد بـن راشـد آل مكتـوم، النائـب الأول لحاكـم دبـي، نائـب رئيـس مجلـس الـوزراء، وزيـر الماليـة، وكذلـك متابعـة ودأب سـمو الشـيخ أحمـد بـن محمـد بـن راشـد آل مكتـوم، النائـب الثـاني لحاكـم دبـي، رئيـس مجلـس دبـي للإعلام. إنهـم قـادة متميـزون وأهـل لـكل مسـؤولية، إذ تربـوا في مدرسـة فـارس العـرب، الـذي لا يـعترف بالمسـتحيل ويعشـق الصـدارة.

أحمـل ذكريـات كـثيرة، ومنهـا رحلاتي برفقـة والـدتي بطفـولتي إلى البريمـي بالمقيـظ. وأود ههنـا أن أروي بقيـة قصـة مصـادرة شـحنة الذهـب خـاصتي، إذ دامـت الإجـراءات شـهورًا عديـدة عانيـت خلالهـا الأمرّيـن؛ ولكـن بفضـل الله ومتابعـة الشـيخ راشـد بـن سـعيد ظهـرت بـراءتي، حيـث أجابـت حكومـة الهنـد بـأن البضاعـة موجودة لديهـا، فطالبـت حكومـة دبـي بـاسترداد البضاعـة، وهـو مـا حصـل. إن الله لا يمكـن أن يتـخلى عـن كل شـخص مخلـص وصـادق.

هنـاك تـغير واضـح، ففـي الماضي كان المطـر يهطـل بنسـب ومعـدلات أعلى، كمـا أن الحـر لـم يكـن بهـذه الشـدة، وربمـا أن السـبب قلـة الأبنيـة والأبـراج الشـاهقة في دبـي حينـذاك. كمـا أننـا كنـا قادريـن على احتمـال حـرارة الصيـف عبر التكيـف مـع درجـات الحـرارة العاليـة بالاعتمـاد على وسـائل بسـيطة نوعًـا مـا.

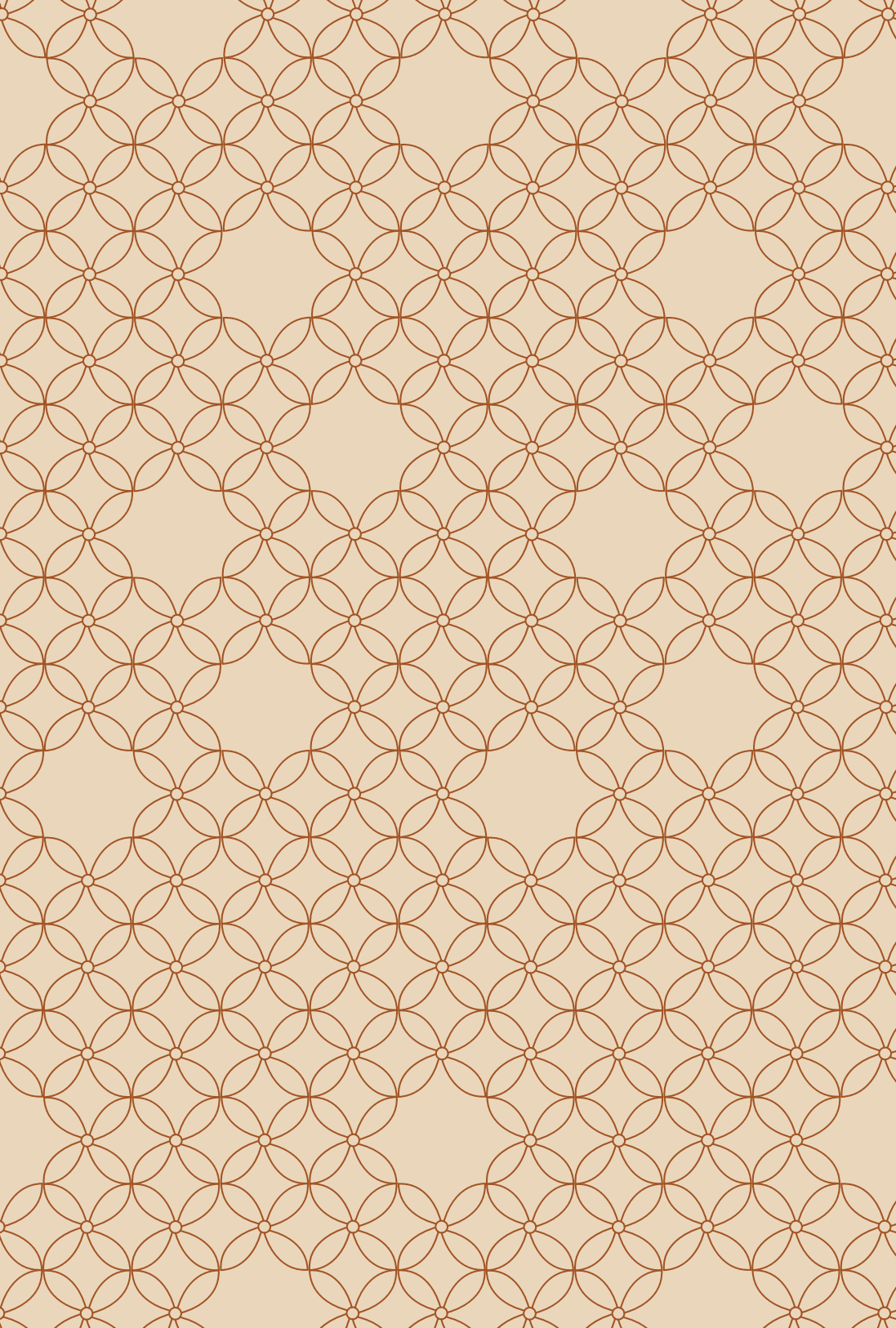

الفصل السابع

العادات والتقاليد... روح الأصالة الإماراتية

تحفظ ذاكرتي بضعة ملامح من مخزون خرافي وقصص شعبية لطالما شكلت أجزاءً من تفاصيل حياتنا قديمًا، ومنها مثلًا السحرة الذين يمكنهم إيذاء الأطفال غير الحذرين أو المشاكسين، وكذلك الساحر الطائر الذي يأتي إلى أحدهم ليلًا فيسحره ويحوله إلى كلب أو قطة «قطو»، وأيضًا هناك مجموعة حكايات أخرى مرتبطة بالبحر والبحارة وبمغامراتهم وبيومياتهم وبما يصادفونه من كائنات خرافية وقصص عجيبة في أثناء رحلاتهم في عرض البحر، وهذا طبعًا إضافة إلى سيرة أبي زيد الهلالي وقصص عنتر وعبلة، وغير ذلك الكثير من الحكايات الشعبية الرائجة والمعروفة حينها، سواء في مجتمعات الخليج العربي بشكل خاص أو في مجتمعاتنا العربية عامة.

هنالك ذكريات ومناسبات شعبية ووطنية عديدة تابعتها أو شاركت فيها، مثل: مشاهدتي لعروض الفروسية التي مثلت جزءًا من فقرات حفل زفاف صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم عام (1979م). ولا أنسى جمال احتفالات مدارس دبي بستينيات القرن الماضي، ومشاركاتي بسباقات الهجن والخيول.

كانـت رحلات الحـج أو العمـرة قديمًـا جميلـة رغـم مشـقات السـفر وأخطـاره، كان النـاس في ثلاثينيـات وأربعينيـات القـرن الماضي يسـافرون إلى مكـة المكرمـة على ظهـور الجمـال، وكانـت تسـتمر الرحلـة بين الـ (15) يومًـا والشـهر الكامـل، ولاحقًـا أصبـح متاحًـا السـفر عبر البحـر وبوسـاطة السـيارات. وحين عـودة الحـاج كان يُرفـع العلـم على بيتـه وتعـم الزينـة.

لا تـزال أكلاتنـا الشـعبية المفضلـة، بالنسـبة لي ولأسرتي، تمثـل أطباقًـا رئيسـية على مائدتنـا اليوميـة، ومـن أهـم هـذه الأطعمـة: السـحناة، المالـح، الهريـس، الفوقـة، «في قاعتـه»، «مرقـة اللحـم أو السـمك»، العرسـية.

انطـوت عـادات وتقاليـد الـزواج قديمًـا على ملامـح جماليـة عديـدة، وذلـك رغـم تواضعهـا وبسـاطتها، وكان الرجـل يتـزوج في الغالـب مـن الأقـارب أومـن الحـي أو مـن أسرة يعرفهـا أهلـه، ولطـالما تميـزت حفلـة الزفـاف بكونهـا صـورة لتكاتـف المجتمـع، وكانـت هـذه الحفلـة تسـتمر بين الثلاثـة أيـام والأسـبوع، وتتضمـن تقديـم أنـواع متعـددة مـن أشـكال الفنـون والأهازيـج والأداءات الشـعبية مثـل «العيالـة».

توجد مجموعة ملامح رئيسية لطالما ميزت أسواق دبي ولا تزال، وأبرزها نشاطها وحيويتها ووفرة وتنوع السلع واتسامها بالانفتاح واحتضان أبناء شعوب عالمنا، إلا أنني أذكر بعض السمات والتفاصيل التي تضمنتها أسواق دبي في وقت سابق، ومن بينها أن غالبية المحال في هذه الأسواق كانت مبنية من الجص والحجر، كما أن هناك بعض الأسواق بديرة وبر دبي كانت مسقوفة بالسعف.

أنا فخور أصلًا أني ولدت في دبي، فلكَم هو محط وعنوان اعتزاز أن تولد في هذه الحاضرة والأيقونة الفريدة في عالمنا، والتي تحفل بكنوز ثقافة النجاح والريادة والإبداع والخير والتسامح والانفتاح، بفضل فكر ورؤى وعزائم وإخلاص قادتها الكرام، إلى جانب محبة وصدق أهلها وحرصهم على العمل والتميز، تلك هي ينابيع ثروة أمجاد دبي وذخرها التي لا تنضب.

يـأتي في مقدمـة هـذه القيـم العلاقـة الوثيقـة والبنـاءة بين قـادة دبـي وأبنـاء مجتمعهـم. وهنـاك أيضًـا فضائـل وسـمات التسـامح والانفتـاح والمحبـة. إنني، ومنـذ صغـري، قبـل أكثر مـن سـبعين عامًـا، وكـوني أسـكن بجـوار البحـر، كنـت أشـاهد أبنـاء مختلـف الشـعوب بدياناتهـم كافـة، يقدمـون إلى دبـي، فيسـتقرون فيهـا ويحظـون بحيـاة مثاليـة يمارسـون خلالهـا شـعائرهم الدينيـة بحريـة تامـة. هكـذا كانـت وبقيـت دبـي والإمـارات التي توجـد فيهـا الآن وزارة التسـامح والتعايـش، وتحـتضن دور عبـادة متنوعـة.

كانـت أجـواء المناسـبات العائليـة الكـبيرة مطـرزة بالمحبـة والتعاضـد والتواضـع والمشـاركات الوجدانيـة والاحترام بين النـاس. كل الأفـراح والأحـزان الخاصـة بـأسرة أو فـرد مـا كانـت موضـوع مشـاركة وتـآزر مـن غالبيـة أبنـاء مجتمـع دبـي، والـذي لطـالما بقـي أهلـه ومـن يعيشـون ضمنـه متماسـكين وبمثابـة عائلـة واحـدة، بمختلـف ثقافاتهـم وأديانهـم وانتماءاتهـم. وأعتقـد أن مـا جعـل ويجعـل جميع المناسـبات متميـزة في دبـي هـو مـا تتسـم بـه دبـي مـن انسـجام ومحبـه وخير وسلام مجتمعـي في ظـل رعايـة وحـرص قيادتهـا الكريمـة.

إننا أبناء مجتمع يعد جزءًا رئيسيًّا من منطقة الخليج العربي والعالم العربي كافة، إذ تجمعنا بهما الثقافة المشتركة والدين واللغة والمصير والهموم والآمال، وقد تأثرت شخصيًّا منذ بدأت أخوض غمار العمل والحياة بميادينها المتنوعة بالتقدم العلمي والحضاري للأشقاء البحرينيين الذين كانوا منذ ستينيات القرن المنصرم قد قطعوا أشواطًا مهمة في مسيرة الثقافة والتعليم والتحضر متقدمين على أشقائهم في دول الخليج العربي الأخرى.

الوطن الذي رباني وحماني ودعمني واحتضنني، ولم يبخل عليّ بشيء، والذي أدين له بالكثير. أنا غيور جدًّا على بلدي، ومستعد لأن أقدم الغالي والنفيس في سبيل دوام ازدهاره واستقراره. إن دبي والإمارات مصدر وعنوان فخري وفرحي الدائم، وأنا حريص أشد الحرص على بذل أقصى ما أستطيع من جهود وإمكانات تضمن تعزيز أسس بقائهما في أبرز مراتب الريادة عالميًّا.

إن فخري بدبي وبما بلغته من إنجازات وما

تشـتمل عليـه مـن قيـم وسـمات لا حـدود لـه، وبالتأكيـد فـإني أواصـل تحمـل مسـؤولياتي كاملـة ضمـن مختلـف المبـادرات والاستراتيجيـات التي تطلـق بهـدف ترسـيخ مكانتهـا، وصـون سـمعتها الرفيعـة، ودعـم أسـس تفوقها، وقدرتهـا على أن تسـتمر منـارة للإنسـانية جمعـاء، وذلـك طبعًـا علاوة على مشروعـاتي وأعمـالي المختلفـة، والتي يعـد تعزيـز مكانـة دبـي هدفًـا جوهريًّـا ضمنهـا.

إن المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، لم يقصرا معي بشيء، وفي ظل رعايتهما ودعمهما عرفت معنى أن يكون الوطن خيمة الإنسان وسنده، والفضاء الذي يحلق به إلى أعلى درجات التميز. نعم، إني أعتز أينما حللت بقصص نجاحات وتفرّد دبي والإمارات اللتين سطرتا أروع ملاحم الإنجاز خلال فترة قياسية في شتّى الميادين، وذلك بفضل رؤى وإخلاص وتوجيهات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، رعاه الله.

إني أستمد قوتي وعزيمتي وتفاؤلي من مخزون إنجازات وجمال دبي والإمارات، ومن حكمة قادتنا ودعمهم ومحبتهم. ولا شك بأني سأبقى على الدوام أفاخر وأفرح لكوني ابن هذا الوطن المعطاء الذي يحمل رسالة السلام والتسامح في عالمنا، والذي يقود جميع دول المعمورة في مجالات الاقتصاد والفكر والعلوم والإبداع، إضافة إلى كونه يسابق الوقت وهو يستكشف المريخ والزهرة ويرسم خرائط نمو وتطور البشرية، ويستكشف آفاق مستقبلها.

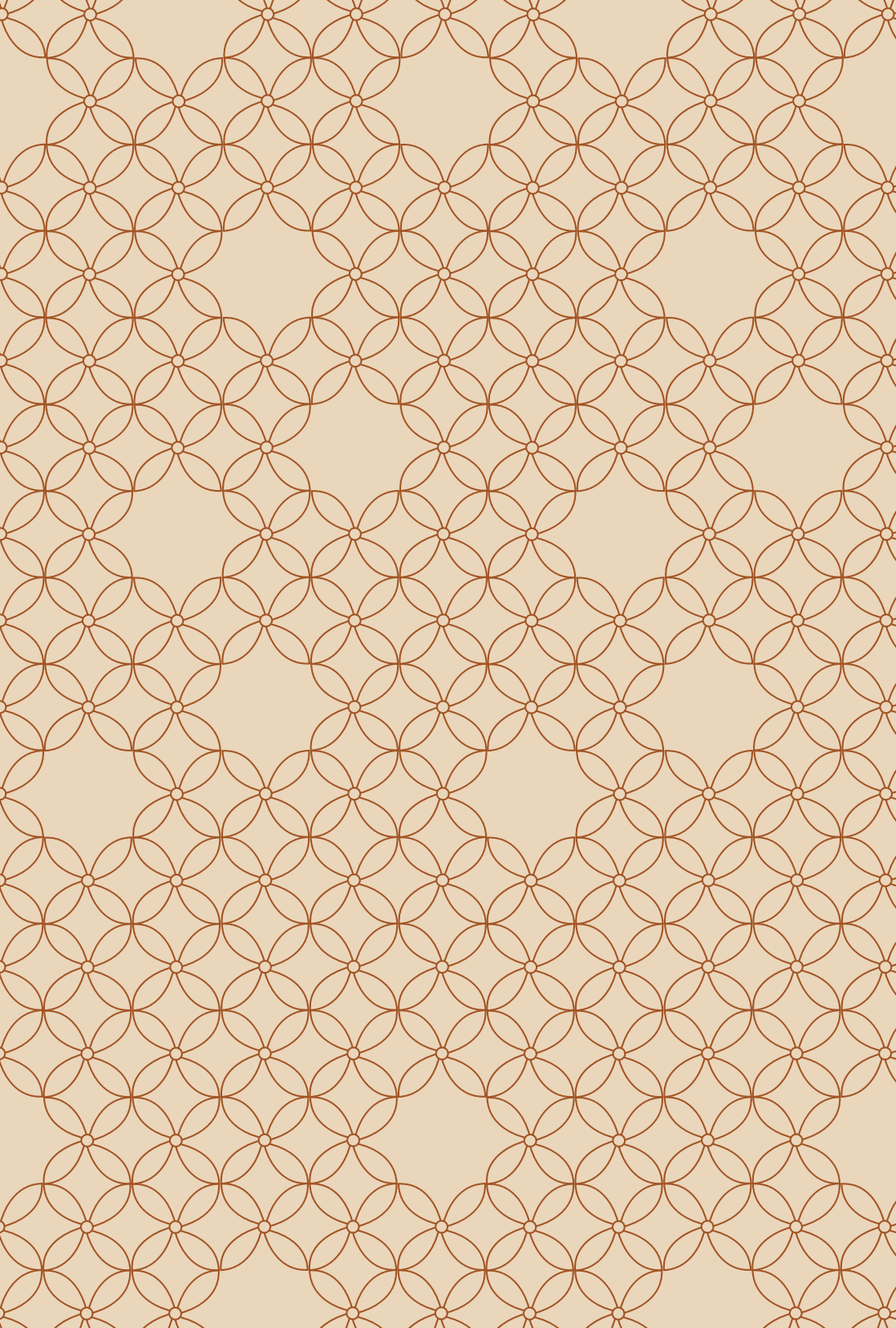

الفصل الثامن

إرث المستقبل...

في البداية أدعو الله أن يتغمد والدي بوافر رحمته وأن يسكنهما فسيح جنانه، وأود أن أخاطب روحيهما قائلًا: لم تقصرا معي أبدًا أيها الكريمان، ربيتماني على الفضيلة، ورسّختما في عقلي وقلبي مكارم الأخلاق وحب الوطن والتعلق بالنجاح والخير واحترام الناس، ولتهنأ الآن يا أبي ويا أمي وتقرّا عينًا؛ فرب العالمين استجاب لدعواتكما وأصبحت أنعم بعائلة خيرة قويمة، كما أنني أمتلك الرزق والخير، بفضل عنايته عز وجل، وبفضل دعم ورعاية المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

كما أقول لهما: كنت وسأبقى وفيًّا للمبادئ والقيم التي زرعتماها بي؛ فمرضاة الله هدفي الأسمى، وخدمة وطني والعمل على تطوره وأمنه دستوري ونهجي، كما أن التسامح والنزاهة ومساعدة الناس والعمل الإنساني منطلقاتي الثابتة، وأعاهدكما أن أواصل بذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء راية وطني، ومد يد العون لكل محتاج، ونشر الفضيلة والمحبة بين الناس.

كذلك أرغب في أن أوجّه بضعة كلمات خاصة إلى أبي، والذي يحزُّ بنفسي ويحزنني كثيرًا أنه فارقنا مبكرًا جدًّا قبل أن أصير ما أنا عليه الآن، وأقول له: كم كنت أتمنى أن تراني يا والدي وأنا في أرفع درجات النجاح والإنجاز، وذلك مثلما كنت تتوقع لي في أثناء طفولتي باستمرار؛ إذ لا يزال صدى كلماتك الموجهة لأمي بأني سأصبح ذا شأن يتردد بمسامعي، لقد تحققت نبوءتك يا أبي، وغدوت إنسانًا ناجحًا شعاره الصدق والخلق الكريم، وهدفة عمل الخير، يخلص لوطنه ويعمل بدأب على تقدمه وتطوره، ويقتدي بالعمل الصالح، ولا يتأخر عن إغاثة الملهوف.

وللمسؤولين عن مستقبل دبي، أقول لهم أولًا: إن الأمانة التي يحملونها كبيرة وغالية وحساسة جدًّا؛ فصون قصة ريادة وتميز دبي التي أصبحت منارة للعالم أجمع، بفضل حكمة ورؤى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، مسؤولية جسيمة وليست اعتيادية، ومؤكد أنه لن يكون أهلًا لها إلا قادة تربوا في مدرسة فارس العرب وتعلموا منه واقتدوا بنهجه، ألا وهم: سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم، وسمو الشيخ مكتوم بن محمد بن راشد آل مكتوم، وسمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم.

إنهم قادة يمتلكون الرؤى النيرة والعزيمة الصادقة والعلوم والمعارف المتقدمة، ويعرفون جيدًا فلسفة ومتطلبات الحفاظ على مكتسبات دبي، ومتابعة مشوار تفردها في الميادين كافة، وكم نتمنى منهم أن يجدّوا ويجتهدوا لترسيخ المنزلة الرفيعة لدبي في الوقت الحاضر وفي المستقبل، أن يواصلوا -وكما عودونا دومًا- الاغتناء من نهج وفكر وحصافة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، الذي يتسلح بعزيمة لا تلين ولا تثنيه الصعاب ولا يعترف بالمستحيل، فهذا الفكر الاستراتيجي القيادي يتفوق على ألمع وأعرق الأكاديميات المتخصصة في فنون القيادة والبناء والتطوير والإبداع والنجاح، ولا

شك أننا بمثله سنضمن صدارة وتميز دبي الدائمين، كما أعتقد أيضًا أننا بحاجة لأن نرفد ونغذي هذا المسار والحرص بتعزيز مكانة دبي كواحة لكل مبدع ورجل أعمال وعالم ومفكر، وذلك بفعل نشاطها الاقتصادي النوعي والأمن والأمان وجودة الحياة، وعلينا أيضًا تكثيف خطط إنشاء مراكز الدراسات والأبحاث العصرية بموازاة افتتاح واحتضان أحدث الأكاديميات المتخصصة بعلوم الذكاء الاصطناعي والاستدامة وأبحاث الفضاء، ولا بد أن نهتم بمواصلة اعتماد استراتيجيات متقدمة معنية ببناء وتأهيل أجيال رفيعة المستوى من العلماء الإماراتيين.

أمـا الأجيـال القادمـة، فأوصيهـم بحـب الوطـن والتفـاني في سـبيل صـون مكتسـباته وحفـظ تقدمـه واسـتقراره، وأقـول لهـم: إن وطنكـم هـو الأم التي ربتكـم وحمتكـم ورعتكـم ولهـا حـق عليكـم. إن قادتكـم لـم يبخلـوا عليكـم بشيء، وحكومتكـم أمّنـت لكـم سـبل التفـوق والنجـاح، وأنتـم مطالبـون بـأن تـردوا الجميـل لهـذا الوطـن.

إن نصيـحتي الأساسـية للأجيـال هـي أن يكونـوا شـجعانًا ولا يخافـوا أن يغامـروا ويجربـوا خـوض مجـالات الأعمـال الحـرة، كـي يصبحـوا رجـال أعمـال ناجـحين، إذ عليهـم أن يثقـوا بأنفسـهم وبإمكاناتهـم فيبـادروا إلى تأسـيس شركاتهـم الخاصـة وإطلاق مشروعاتهـم، ولا بـد لهـم أن يجربـوا ويحاولـوا دومًـا في هـذا الميـدان؛ فلا يستسـلموا أمـام العثرات أو الفشـل المرحلي، وأيضًـا عليهـم ألّا يترددوا في أن يبـدؤوا مـن الصفـر مجـددًا لـو احتـاج الأمـر. كمـا أنصحهـم أن يحرصـوا وهـم يخوضـون هـذه التجـارب والمحـاولات على أن يسـتلهموا رؤى صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد، والتي تمثـل دسـاتير نجـاح وإنجـاز قلّمـا يجـود بهـا الدهـر؛ حيـث إنهـا سـتنير عقولهـم وتعلمهـم وتوسـع مداركهـم وخبراتهـم وتمدهـم بمفاتيـح النجـاح. وأود أن أقـدم لهـم نصيحـة ذهبيـة عرفـت أهميتهـا وقيمتهـا جيـدًا خلال مشـوار حيـاتي، ألا وهـي: إن الصـدق وبنـاء السـمعة الحسـنة والتـحلي بالخلـق الكريـم أسـاس نجـاح الإنسـان وأثمـن وأغلى رصيـد يمكـن أن يملكـه، فبهـذه الصفـات والسـمات يمكننـا أن نكسـب ثقـة الناس ومحبتهـم، وهـو مـا لا يمكـن لأيـة ثـروة أن تحققـه.

وأقـول لهـم في الختـام: إن الحيـاة بلا عمـل وجـد ومعانـاة لا معنى لهـا، وإن تحقيـق الطموحـات والنجاحـات مـسيرة طويلـة تتطلـب العمـل المتواصـل، والتسـلح بالهمـة العاليـة، وعـدم الاكتفـاء بمـا نحققـه مـن منجـزات، فكمـا علّمنـا صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد، أن النجـاح قصـة تطـور واسـتمرار وكفـاح لا تتوقـف أو تعـرف الحـدود.

إن دبـي في أيـدٍ أمينـة؛ إنهـا في رعايـة قادتهـا الأمنـاء المتميزيـن الذيـن يبذلـون أقصى الجهـود والإمكانـات، غايـة أن تبقـى مركـزًا عالميًّـا رائـدًا في المجـالات المختلفـة. وهنـاك بعـض المقترحـات التي أظنهـا سـتعزز مبـادرات وخطـط تمـكين وتقويـة دعائـم تفـوق دبـي، وفي مقدمتهـا إطلاق مبـادرة مدروسـة ومتكاملـة لتعزيـز الصناعـة تضمـن افتتـاح واسـتقطاب معامـل ومصانـع في كافـة التخصصـات، وعلينـا أن نهتـم، ونحـن نطبـق خطـط عملنـا في هـذا الخصـوص، في التركيـز على المصانـع والصناعـات المعنيـة بالتكنولوجيـا الحديثـة، وتقنيـات الـذكاء الاصطناعـي، ومعـدات الإنترنـت والفضـاء الرقمـي؛ بحيـث تتحـول دبـي إلى مركـز عالمـي رائـد في هـذا القطـاع كمـا هـي في سـواه، خاصـة وأنهـا تصنـف الآن كونهـا متصـدرة عالميًّـا في مجـالات المحتـوى الرقمـي وتوظيـف الـذكاء الاصطناعـي. ومـن المؤكـد أنـه على الحكومـة مواكبـة مقتضيـات هـذه المبـادرة، وتقديـم التسـهيلات اللازمـة، وتحفيـز المسـتثمرين مـن الصناعـيين عبر إعفائهـم مـن الرسـوم والإيجـارات لـفترة محـددة وتكريمهـم... وغير ذلـك مـن الوسـائل.

وأقترح أيضًا تشكيل مجلس أعمال مؤلف من كبار رجال الأعمال في دبي، تكون مهمته تدريب وتأهيل الشباب لخوض غمار العمل الحر، والتجريب في قطاعات الأعمال والاقتصاد. كذلك من المهم تبنى استراتيجيات ومشروعات متخصصة في تشجيع الشباب على العمل والاستثمار في مجالات الزراعة باستخدام التقنيات الحديثة التي لا تتطلب مساحات كبيرة أو مياهًا كثيرة، بحيث تمدهم بالإمكانات وتحفزهم، وتقدم الدعم الشامل والإرشادات والخبرات الكفيلة بتجويد طبيعة منتجاتهم، واعتماد أفضل التقنيات وجعل أعمالهم مطابقة لمعايير الاستدامة وصون البيئة.

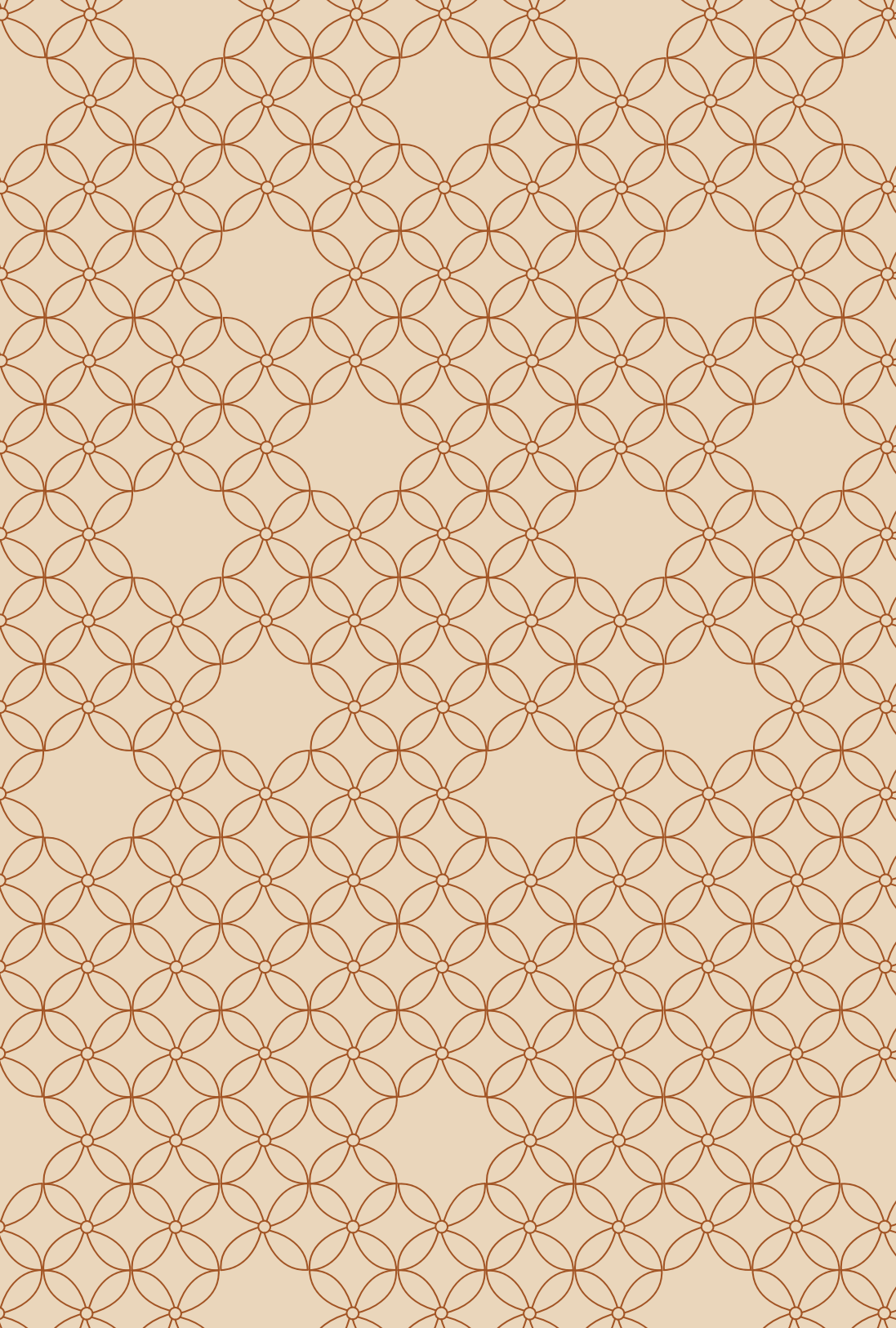

الماضي لا يقتصر على الذكريات؛ بل هو الأساس الذي نبني عليه حاضرنا ونرسم من خلاله مستقبلنا... والحفاظ على هذا الإرث هو مسؤوليتنا الجماعية لضمان استمراريته كمصدر إلهام وفخر.

هذا الكتيب يعود إلى

عبدالرّحيم محمّد بالغزوز الزرعوني

رقم التواصل:
0505511110

البريد الإلكتروني:
alia@alzarooni.com